سلسلة الفتوحات العزمية

(٢٥)

موحدون لا قبوريون

الجزء الثانى

لجنة البحوث والدراسات
بالطريقة العزمية

الطبعة الأولى

ذو القعدة ١٤٢٧هـ - ديسمبر ٢٠٠٦م

عنوان الكتاب	موحدون لا قبوريون
المؤلف	لجنة البحوث والدراسات بالطريقة العزمية
الناشر	دار الكتاب الصوفى
عنوان الناشر	١١٤ ش مجلس الشعب- السيدة زينب
رقم التليفون	٠٢/٣٩٠١٠٣٠
رقم الإيداع	٢٠٠٦/١٨٦٠٤م
الترقيم الدولى	٩٧٧-٥٢٧٣-٧٣-٥

محتويات الكتاب

الموضوع **الصفحة**

D:\كتب\الوهابية\٢٥doc.

الافتتاحية

خطر الوهابية على الأمة الإسلامية

الحمد لله رب العالمين، المعروف من غير رؤية، والخالق من غير منصبة، خلــق الخلائــق بقدرتــه، واستعبد الأرباب بعزته، وساد العظماء بجوده، وهــو الذى أسكن الدنيا خلقه، وبعث إلى الجــن والإنــس رسله، ليكشفوا لهم عن غطائها، وليحــذروهم مــن ضرائها، وليضربوا لهم أمثالها، وليبصروهم عيوبها، وليهجموا عليهم بمعتبــر مــن تــصرف مــصاحها وأسقامها، وحلالها وحرامها.. وما أعد الله للمطيعين منهم والعصاة، من جنة ونار، وكرامــة وهــوان.. نحمده إلى نفسه كما استحمد إلى خلقه، جعل لكل شئ قدرا، ولكل قدر أجلا، ولكل أجل كتابا.

والصلاة والسلام على حبيبك ومصطفاك، قبــضة نورك فى عالم (كن)، والسيد الذى واثقت لأجله أولى

العزم من كُمَّل رسلك، والحبيب المصطفى الذى لو جاءه الظالم لنفسه مستغفرا لوجدك عنده.. سيدنا ومولانا محمد.

اللهم صل وسلم وبارك عليه وآله، صلاة تجمعنا بها عليه ﷺ جامعة تحققنا بها بكمال معيته، حتى نفوز بالاستمداد الروحانى المحمدى، ونحظى بالكشف العينى، فتكون أحوالنا وأعمالنا صادرة عن حق متابعة، وكمال مشابهة، فلا يغيب عنا ﷺ فى حال وشأن، ولا يقظة ولا منام، بالكشف والعيان، أو بالفهم والبيان.. آمين يا رب العالمين.

أما بعد:

لقد علمت– أيها الأخ والحبيب فى الله ورسوله ﷺ– من كتب السلسلة السابقة أن مبادئ الطريقة الوهابية، وأورادها وأحزابها وخط سيرها هو ذم جميع أهل الملة السمحاء، ورميهم بالكفر والشرك وعبادة الأوثان، وارتكاب البدع.. وأن جميع المريدين

والسالكين لهذه الطريقة الغريبة يقدسون رسائل قطبهم ابن عبد الوهاب، ولاسيما الرسالة التى أتى فيها بالمعجزات الباهرة، والكرمات الفائقة فى سب المسلمين وتكفيرهم، وسماها (كشف الشبهات).

ثم أحطت علما بأن من الذين أيدوه فى طريقته ووصلوا إلى سب المسلمين على يديه محمد بن سعود أمير الدرعية.. وأن هذا الخليفة المطمطم ينسب نفسه إلى بنى حنيفة الذين اتخذوا صنما من عجوة وأكلوه. ثم آمنوا بمسيلمة الكذاب، وأيدوه ونصروه واتبعوا الباطل الذى زينه الشيطان له.

ولابن عبد الوهاب أربعة أولاد، هم: عبد الله وحسن وحسين وعلى، ويسميهم دراويش ابن عبد الوهاب (أولاد الشيخ)، وكان عبد الله أكبرهم سناً، وأعظمهم تعصباً، وقد رزق بولدين وهما: سليمان وعبد الرحمن، فأعطى لسليمان العهد على سب المسلمين، فقام سليمان بما عهد إليه أبوه، وصار

الإسلام والمسلمين سخرية ومذمة فى أفــواه هــؤلاء الخوارج، وكانوا يغزون القبائل، وإذا تسلطوا عليهــا جعلوا أموالها.. غنيمة، وأخــذوا الخمــس وأعطــوا للغزاة الأربعة أخماس، ثم ســلطوها علــى القبائــل الأخرى، وإلا أبادوها عن آخرها.. وقد غزوا أرض الحجاز فى سنة ١٢٠٢ فى عهد السلطان سليم الثالث وتغلبوا على أميره (غالب)، ثم اتسع نفــوذهم حتــى اقتربوا من بغداد والشام والبصرة، وكــانوا يقتلــون الكبار، ويذبحون الصغار علــى صــدور أمهــاتهم ويقولون: هؤلاء أولاد المشركين، وهم نجس.. وكانوا ينهبون ما تصل إليــه أيــديهم، وَيَــسْبُونَ النــساء، ويهدمون أبنية الأولياء والصلحاء، والعلمــاء.. وقــد هدموا قبة سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما، وذبحوا نحو سبعين ألفاً مــن الأشــراف والعلمــاء والصالحين والأولياء على روضته ﷺ.

وقال الجبرتى فى تاريخه: إنهم كانوا يستحلون دم

D:\كتب\الوهابية\doc٢٥.

المسلمين، ويقولون لمن يلقونه من المسلمين (هاه يــا مشرك) ولا يقولون هذا للنصارى ولا لليهــود. بــل عندهم اليهود والنصارى أفضل من المسلمين، وهــذه عقيدتهم إلى الآن، فهم يكرهون المسلمين ويزعمــون أنهم مشركون، ويحبون النصارى واليهود ويوالونهم الصداقة والإخاء.

كثرت شكاوى المسلمين من هذه الفئة الضالة إلى دار الخلافة، وإلى جميع زعماء المسلمين، فأصــدر السلطان محمود أمره لوالى مصر محمد على باشــا، أن يضربهم بيد الحق، ويطهر أرض الحجاز مــنهم، فجهز محمد على باشا جيشا عقد لواءه لابنه البطــل العظيم طوسون باشا، وبعث بعض العلمــاء ومــنهم الشيخ المهدى، والسيد أحمد الصاوى، والسيد أحمــد المحروقى، فهجم عليهم جيش الخلاص، وهم سكارى بنشوة النصر والسلب والنهب، وهزمهم شر هزيمــة ومزقهم كل ممزق، وطهر أرض الحــرمين مــنهم،

وتابعتهم الجيوش المصرية إلى ديارهم.

ولما طارت بشائر طردهم إلـى مـصر والـبلاد الإسلامية، أقام المصريون وكافة المسلمين الزينات، ومكث محمد على باشا بالحجاز تسعة عشر شـهرا، ولما كان محمد على باشا ولياً تقياً مجاهـداً للحـق بالحق، فقد تحقق على يديه ما روى البزار بسند عن السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها قالت: (ذكر رسول الله ﷺ الخوارج فقال: هم أشرار أمتـى يقتلهم خيار أمتى)[1]، ولما كان إبليس منظوراً إلـى يوم يبعثون، فالفتن كذلك منظورة معـه إلـى يـوم البعث.

ولما همَّ سليمان بن عبد الله بنشر الطريقة الوهابية

(١) راجع فى هذه السلسلة كتاب (خونة الإسلام) الجـزء الثـانى، حيث أكدت أحاديث رسول الله ﷺ أن أوصاف خوارج آخـر الزمان تنطبق تماماً على الوهابية وأتباعها.

وعلم بذلك المرحوم إبراهيم باشا استأذن والده محمد على باشا فى قتله، فجاءه الإذن فقضى عليه، واعتقل أخاه عبد الرحمن، وأرسله إلى مـصر فمـات بهـا واستراح المسلمون من كيدهما.

ولقد وضع الشيخ عبد الملك القلعى مفتـى مكـة المكرمة فى عام خروجهم تاريخ ذلك العـام بقولـه: (قطع دابر الخـوارج).. وهـو سـنة ١٢٢٧، ولـم يعتبرهم الشيخ ولا غيره من الخـوارج إلا بعـد أن تدبروا أعمالهم التـى سـردناها، وعقائـدهم التـى شرحناها، واطلعوا على ما ورد فى حـق الخـوارج وهو كثير.

قال الشيخ أمين المعروف بابن عابدين فى حاشيته (رد المحتار على الدر المختار): يكفى فـى مـسمى الخوارج اعتقادهم كفر من خرجوا عليه، كما وقع فى زماننا من أتباع ابن عبد الوهاب الذين خرجوا مـن نجد وتغلبوا على الحرمين، وكانوا ينتحلون مـذهب

الحنابلة، لكنهم اعتقدوا أنهم هم المسلمون، وأن من خالف اعتقادهم مشرك، واستباحوا بذلك قتل أهل السنة، وقتل علمائهم حتى كسر الله تعالى شوكتهم وخرب بلادهم، وظفرت بهم عساكر المسلمين. أ.هـ.

وقد أخبر النبى ﷺ عن هؤلاء الخوارج وفتنتهم فى أحاديث كثيرة كلها صحيحة، بعضها فى صحيح البخارى ومسلم، وبعضها فى غيرهما ومنها قوله ﷺ: (الفتنة من هاهنا، الفتنة من هاهنا، وأشار إلى المشرق). قال العلماء: وإنما أشار إلى المشرق لأن أهله يومئذ أهل كفر، فأخبر أن الفتنة تكون من تلك الناحية.

قلنا لك: إن الطريقة الوهابية أقيمت على دعائم تكفير المسلمين بغير حق.. وأن أورادهم، وأذكارهم وأحزابهم، وذكرهم، وفكرهم هو الطعن فى الموحدين، تلقيناً من وليهم الأعظم وقطبهم المطمطم

D:\كتب\الوهابية\٢٥.doc

الهائم فى تكفير المسلمين (محمد بن عبد الوهاب).

وجد الوهابيون أن الطعن فى المسلمين حسناً فى أفواههم، لذيذاً فى قلوبهم، فاتخذوه ديدناً.. وجمعوا جميع الاعتراضات والخلافات من الحواشى، واتبعوا ما تشابه منها ابتغاء الفتنة والتأويل، حتى ساروا فى واد والعالم الإسلامى فى واد.. بل ساروا على النقيضين من إجماع المسلمين.

فمن دعائم طريقتهم، وأخس أورادهم أن شيخهم كان يخطب فى مسجد الدرعية خطباً عكسية يكفر فيها المسلمين.. ويشنع فيها على من يتوسل برسول الله ﷺ، أو بغيره من الأنبياء، أو الملائكة والأولياء، أو يحلف بحقهم، أو ينذر لهم، ويعدون من يفعل شيئا من ذلك كافرا ومشركا، لا يعامل معاملة المسلمين، ولا يصلى عليه، ولا يدفن فى مقابر المسلمين.

ولقد سئل ابن عبد الوهاب من أين أوحى إليه بتكفير من يتوسل بالنبى ﷺ مع أن أهل السنة قاطبة-

حتى ابن تيمية- أجمعوا على صحة التوسل بـالنبى ﷺ وغيره، فما كان جواب شيخ الطريقة الوهابية إلا أن سيدنا عمر ﷺ استسقى بالعباس ولم يستسق بالنبى ﷺ!.

هذا جواب الشيخ وهذه حجته كلها، وهو يريد بذلك أن يقول أن التوسل بالحى جائز وبالميت كفر، لأن العباس كان حياً، والمعلوم عند أهل العلم أن الحى أو الميت لا ينفع بذاته بل النافع والضار هو الله تعالى، ولكن الله ينفع على يد من يشاء، ويضر كذلك على يد من يشاء، فيستوى الحى والميت فى ذلك.

ولا ندرى إذا كان شيخ الطريقة الوهابية كان حينما أجاب فاطناً إلى أن هذا الجواب حجة عليه، أم لم يفطن، استسقاء سيدنا عمر ﷺ بالمخلوق الذى هو سيدنا العباس ﷺ دليل واضح على جواز التوسل بغير الله تعالى، وإذا كان النبى ﷺ أفضل من العباس، ومن أقرب المقربين وهو حى وبعد انتقاله

D:\كتب\الوهابية\٢٥doc.

إلى الرفيق الأعلى، وقد جاز التوسل بالمفضول، فالتوسل بالأفضل من باب أولى، وإنما توسل سيدنا عمر بسيدنا العباس وترك التوسل بالنبى ﷺ، أولاً: لبيان مقام العباس بين إخوانه، وكرامة العباس من معجزات رسول الله ﷺ وصدق نبوته، وثانياً: لأن سيدنا عمر علم بعين بصيرته أن هذه الطريقة الوهابية ستظهر فى الوقت الذى أشار إليه النبى ﷺ، فتوسل بتابع من أصحاب النبى ﷺ ليدلل على أن التوسل جائز بغير الله، لا يشترط فيه إلا أن يكون المتوسل به مقرباً إلى الله، وإذا كان سيدنا العباس ﷺ مقرباً فالنبى ﷺ أقرب، وسيدنا على كرم الله وجهه أقرب من العباس وهو حى وقتذاك، فجاز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل.

إن سيدنا عمر ﷺ هو الذى روى عن النبى ﷺ حديث توسل أبينا آدم به قبل أن يوجد ﷺ فى صورته البشرية على الأرض.

روى سيدنا عمر حديث توسل أبينا آدم بالنبى ﷺ، وتحقق أن التوسل به جائز حياً ومنتقلاً، ثم توسل بسيدنا العباس ﵁ ليدلك على أن التوسل حتى بغيره ﷺ جائز، وهذه فراسة من سيدنا عمر، فقد كاشفه الله تعالى بأمر خروج الخوارج على الإجماع الإسلامى، فكان توسله بالعباس بعد روايته حديث توسل أبينا آدم بالنبى ﷺ قبل وجوده على الأرض، فزادنا ﵁ علما وعقيدة بجواز التوسل بهم وبغيرهم، لتكون على بصيرة من الخوارج فى كل زمان ومكان.

يمنع خلفاء ابن عبد الوهاب التوسل بالنبى ﷺ وبغيره من الأنبياء والأولياء مع أن التوسل ورد صريحا عن النبى ﷺ وسلكه أصحابه والسلف الصالح من بعدهم، فمن ذلك ما جاء فى أدعيته ﷺ ومنها: (أسألك بنور وجهك الذى أشرقت له السموات والأرض، وبكل حق هو لك، وبحق السائلين عليك أن تقبلنى فى هذه الغداة، أو فى هذه العشية، وأن تجيرنى

D:\كتب\الوهابية\٢٥doc.

من النار بقدرتك). وهذا التوسل بعض حديث طويل مذكور فى حصن ابن الجوزى وغيره، رواه الطبرانى فى الكبير. والدعاء عن أبى أمامة الباهلى ﵁، وصححه الحافظ الكبير عبد الغنى المقدسى مؤلف (الكمال فى أسماء الرجال)، كما نقله عنه ملا على القارئ فى شرح الحصن، وليس فيه طعن مطلقا، وقد كان النبى ﷺ يدعو به، والصحابة كذلك من بعده، والسلف الصالح من بعده.

هل ينكر دراويش وحلفاء ابن عبد الوهاب أن قوله ﷺ: (بحق السائلين) فيه توسل صريح بكل عبد مؤمن حى وميت؟!.

ومنها ما روى عن ابن ماجة بسند حسن صحيح عن أبى سعيد الخدرى ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: (من خرج من بيته إلى الصلاة فقال: اللهم إنى أسألك بحق السائلين عليك، وأسألك بحق ممشاى هذا إليك، فإنى لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياء ولا سمعة،

خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك، فأسألك أن تنقذنى من النار، وأن تغفر لى ذنوبى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، يا أرحم الراحمين، يا أكرم الأكرمين، أقبل الله عليه بوجهه أى: بمزيد إكرامه وإنعامه، واستغفر له سبعون ألف ملك).

وهذا الحديث أخرجه أيضا الإمام أحمد الذى يتمسك به الوهابيون، ورواه ابن خزيمة فى كتاب التوحيد، والبيهقى فى كتاب الدعوات، وأبو نعيم فى عمل اليوم والليلة، والطبرانى فى كتاب الدعاء.

فيعلم من قول رسول الله ﷺ: (أسألك بحق السائلين عليك، وبحق ممشاى)، أن التوسل يجوز بالأحياء وبالأموات، لأن السائلين أعم، ومن قوله: (بحق ممشاى) أن التوسل فضلا عن جوازه بالناس الصالحين أحياء وأمواتا، يجوز بالعمل الصالح وهو المخرج والممشى لصالح العمل.

D:\كتب\الوهابية\٢٥doc.

قضية القبور:

بينا فى الجزء الأول من كتاب (موحدون لا قبوريون) أن أكبر الذرائع التى كفَّر الوهابيون الأمة بسببها هى زعمهم أن المسلمين قد عادوا إلى الشرك والوثنية بعبادة القبور، وهم يجمعون على تسمية مخالفيهم بالقبوريين، وقد وجدنا أن شبهاتهم تنحصر فى عشر شبهات، قمنا بتفنيد شبهتين فى الجزء الأول من هذا الكتاب، وهما: جواز بناء روضات الأولياء، وجواز بناء المساجد على المراقد.

وفى هذا الجزء (الثانى) من كتاب (موحدون لا قبوريون) سنقوم– بعون الله تعالى وتوفيقه– بتفنيد أربع شبهات أخرى وهى:

١- زيارة روضات الأنبياء والأولياء.
٢- مشروعية التوسل بالأنبياء والأولياء.
٣- مشروعية الحلف بحق الأنبياء والأولياء.
٤- النذر للصالحين والصلاة بمساجدهم.

وفى الجزء القادم (الثالث) سوف نستكمل باقى الشبهات العشرة التى يزعم الوهابيون أن المسلمين الموحدين قد عادوا إلى الشرك والوثنية بسببها.

هذه صرخة لبعث أمة، من نومة الغفلة ورقدة الجهالة، لتوحيد صفوفها، ونبذ اليهود- بأسماء إسلامية- المفرقين من بينها، ومعاملتهم بما يليق من معاملة الأعداء.. حتى نستعيد مجد سلفنا الصالح.. فنسأل الله تعالى أن يجمع أمرنا، ويهدى ضالنا، ويوفقنا لما يحب ويرضى.

لجنة البحوث والدراسات
بالطريقة العزمية

الفصل الثالث

الوهابيون وزيارة روضات الأنبياء والأولياء

إن الإسلام بنى على كلمتين: كلمةِ التوحيد وتوحيدِ الكلمة، فيجب على الأمة الإسلامية أن تحفظ وحدة الكلمة وعُرى الأخوة، كما يجب عليها أن تحتفظ بكلمة التوحيد، فإنهما صنوان نابتان من أصل واحد.

فكما قال ربنا: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾ (آل عمران: ١٠٣)، قال عز شأنه: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ المُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾ (النساء: ١١٥).

وقال الإمام علىّ عليه السلام: (والزموا السواد الأعظم، فإن يد الله مع الجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشاذ من الناس للشيطان، كما أن الشاذ من الغنم للذئب، ألا

ومن دعا إلى هذا الشعار فاقتلوه ولــو كــان تحــت عمامتى هذه).

فإذا كان توحيد الكلمة بهذه المكانة العاليــة، فمــا حال من شق عصا المسلمين، وبــث فــيهم الفرقــة، ومزق صفوفهم، وشتت شملهم بغرس شــكوك فــى أمور طالما اتفقت عليها الأمة الإسلامية قبل أن يولد باذراً الشكوك- نعنى: ابن تيمية- وساقيها- نعنــى: محمد بن عبد الوهاب-.

إن ما عرضناه عليك فى الجزء الأول مــن هــذا الكتاب هو مقتضى نصوص الكتاب الحكــيم وســنة النبى الأكرم ﷺ وآله، ونتيجة لما أجمعت عليه الأمة الإسلامية طوال القرون، فأى قيمة لكلمة أو كلمــات تضاد كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وما اتفقت عليه الأمة؟.

يعز على الأمة الإسلامية- وفى مقدمتها علماؤها ومفكروها- أن يوجد أناس فى (أم القــرى) ومهــبط الوحى يكفرون الأمة جمعاء من سُــنَّة وشــيعة، ولا يستثنون منهم إلا شذاذ الآفاق من بلاد نجد.

لا نطيل عليك أيها القارئ الكريم وقفتك لقــراءة موضوع هذا الفــصل، وهــو: (مــشروعية زيــارة روضات الأولياء).. فبعد أن بينا فــى الجــزء الأول جواز بناء روضــات الأوليــاء، ومــشروعية بنــاء المساجد على المراقد.. وفنــدنا شــبهات الوهابيــة وأباطيلها حول هذين الموضوعين، نبدأ هــذا اللقــاء بقولنا:

لقد أفتى علماء الإسلام وفقهاء الــشريعة بجــواز زيارة القبور- وخاصة روضات الأنبياء والصالحين- استناداً إلى مجموعة من الآيات الكريمة والأحاديــث الشريفة، وبالإضافة إلى الجواز فإنهم أفتوا باستحبابها وفضيلتها.

أما الوهابيون فإنهم- كما يبدو- لا يحرمون أصل الزيارة، بل يحرمون السفر وشد الرحال إلى زيــارة روضات الصالحين، فالبحث هنــا فــى مــرحلتين: (الزيارة، والسفر للزيارة).

أولاً الزيارة :

مما لا شك فيه أن زيارة القبور تنطوى على آثار أخلاقية وتربوية هامة، نشير إلها- مختصراً- فيما يلى:

إن مشاهدة هذا الوادى الهادئ الذى يضم فى أعماقه مجموعة كبيرة من الذين عاشوا فى هذه الحياة الدنيا ثم انتقلوا إلى الآخرة، وهم سواء.. الغنى والفقير، والقوى والضعيف، ولم يصحبوا معهم سوى ثلاث قطع من القماش فقط، إن مشاهدة هذا المنظر يهز الإنسان قلباً وروحاً، ويخفف فيه روح الطمع والحرص على الدنيا وزخارفها وشهواتها، ولو نظر الإنسان إليها بعين الاعتبار لغير سلوكه فى هذه الحياة، واعتبر لآخرته، وراح يخاطب نفسه: إن هذه الحياة المؤقتة لابد أن تزول، وإن الفترة التى أعيشها لابد أن تنتهى ويكون مصيرى إلى حفرة عميقة، تتراكم علىّ تلال من التراب، وهناك الحساب، إما

ثواب وإما عذاب، فلا تستحق هذه الحياة المؤقتة أن يجهد الإنسان نفسه من أجل المال والجاه والمنصب، فيظلم هذا ويؤذى ذاك، ويرتكب الجرائم والمنكرات.

إن نظرة تأمل إلى هذا الوادى الساكن يرقق القلب مهما كان قاسياً، ويُسمع الإنسان مهما كان صُمَّاً، ويفتح العيون مهما كانت حالكة، وكثيراً ما تدفع بالإنسان إلى إعادة النظر فى سلوكه وحياته، والشعور بالمسؤوليات الكبيرة أمام الله تعالى والناس.

يقول الرسول الأعظم ﷺ كما ذكر ابن ماجة فى سننه: (زوروا القبور فإنها تذكركم بالآخرة)، بالرغم من أن مسألة زيارة القبور ليست بحاجة إلى إقامة الدليل والبرهان على صحتها وضرورتها، ولكننا نضطر إلى التحدث عنها لأولئك الذين يتوقفون فيها.

القرآن وزيارة القبور :

إن الله تعالى ينهى حبيبه سيدنا ومولانا محمداً ﷺ عن الصلاة على جنازة المنافق والقيام على قبره،

فيقول سبحانه: ﴿وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً وَلاَ تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (التوبة: ٨٤).

فالآية تسعى لهدم شخصية المنافق، وهز العصى فى وجوه حزبه ونظرائه، والنهى عن هذين الأمرين بالنسبة للمنافق معناه ومفهومه: مطلوبية هذين بالنسبة لغير المنافق.

والآن يجب أن ننظر فى قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾.. ما معناه؟.

هل المعنى هو القيام وقت الدفن فقط، حيث لا يجوز ذلك للمنافق ويستحب للمؤمن؟ أم المعنى أعم من وقت الدفن وغيره؟.

الجواب: بعض المفسرين نظروا إلى الآية نظرة ضيقة فقالوا بالقول الأول، ولكن بعضاً آخرين- كالبيضاوى وغيره- نظروا إليها نظرة واسعة فقالوا: إن النهى فى ﴿وَلاَ تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾، هو عن الدفن والزيارة. والتدقيق وإمعان النظر فى الآية الكريمة

يسوقنا إلى هذا المعنى الأعم، وذلك لأن الآية تتشكل من جملتين:

الأولى: ﴿وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً﴾.. إن لفظة (أحدٍ) بحكم ورودها فى سياق النفى تفيد العموم والاستغراق لجميع الأفراد، ولفظة (أبدا) تفيد الاستغراق الزمنى، فيكون معناها: لا تصل على أحد من المنافقين فى أى وقت كان.

فمع الانتباه إلى هذين اللفظين نعرف- بوضوح- أن المراد النهى عن الصلاة على الميت المنافق ليس خصوص الصلاة على الميت عند الدفن فقط، لأنها ليست قابلة للتكرار فى أزمنة متعددة، ولو أريد ذلك لم تكن هناك حاجة إلى لفظة (أبداً)، بل المراد من الصلاة فى الآية مطلق الدعاء والترحم سواء كان عند الدفن أم غيره.

فإن قال قائل: إن لفظة (أبداً) تأكيد للاستغراق الأفرادى لا الزمانى.

فالجواب:

١) إن لفظة (أحدٍ) أفادت الاستغراق والشمول لجميع المنافقين.

٢) إن لفظة (أبداً) تستعمل فى اللغة العربية للاستغراق الزمانى، كما فى قوله تعالى: ﴿وَلاَ أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً﴾ (الأحزاب: ٥٣).

فالنتيجة: إن المقصود هو النهى عن الترحم على المنافق وعن الاستغفار له، سواء كان بالصلاة عليه أو بغيرها.

الثانية: ﴿وَلاَ تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾.. إن مفهوم هذه الجملة- مع الانتباه إلى أنها معطوفة على الجملة السابقة- هو: لا تقم على قبر أحدٍ منهم أبداً، لأن كل ما ثبت للمعطوف عليه من القيد- أعنى (أبداً)- يثبت للمعطوف أيضاً، ففى هذه الحالة لا يمكن القول بأن المقصود من القيام على القبر هو وقت الدفن فقط، لأن المفروض عدم إمكان تكرار القيام على القبر وقت الدفن، كما كان بالنسبة للصلاة، ولفظة (أبداً) المقدرة فى هذه الجملة الثانية تفيد إمكانية تكرار هذا

العمل، فهدا يدل على أن القيام على القبر لا يختص بوقت الدفن.

وإن قال قائل: إن لفظة (أبداً) المقدرة فى الجملة الثانية معناها الاستغراق الأفرادى.

قلنا: قد سبق الجواب عليه، وأن لفظة (أحدٍ) للاستغراق الأفرادى، لا لفظة (أبداً) فهى للاستغراق الزمانى.

فيكون معنى الآية الكريمة: إن الله تعالى ينهى نبيه ﷺ وآله عن مطلق الاستغفار والترحم على المنافق، سواء كان بالصلاة أو مطلق الدعاء، وينهى عن مطلق القيام على القبر، سواء كان عند الدفن أو بعده.

ومفهوم ذلك هو أن هذين الأمرين يجوزان للمؤمن.. وبهذا ثبت جواز زيارة روضة المؤمن، وجواز قراءة القرآن على روحه، حتى بعد مئات السنين.

هذا بالنسبة إلى المرحلة الأولى وهى أصل الزيارة من وجهة القرآن، وأما بالنسبة إليها من ناحية

الأحاديث فإليك بيانها:

الأحاديث الشريفة وزيارة القبور :

يستفاد من الأحاديث الشريفة- التى رواها أصحاب الصحاح والسنن- أن النبى ﷺ نهى عن زيارة القبور نهياً مؤقتاً لأسباب خاصة، ثم رفع النهى وحبَّذ إلى الزيارة.

ولعل علة النهى المؤقت هى أن الأموات كانوا مشركين وعبدة للأصنام، وقد قطع الإسلام كل العلاقات مع الشرك وأهله، فنهى النبى ﷺ عن زيارة الأموات، ويؤيد هذا الاحتمال ما كان يقوله ﷺ عند زيارته لأهل القبور: (دار قوم مؤمنين).

ويحتمل أن تكون العلة شيئاً آخر، وهو أن المسلمين كانوا حديثى عهد بالإسلام، فكانوا ينوحون على قبور موتاهم نياحة باطلة تخرجهم عن نطاق الشريعة، ولما تمركز الإسلام فى قلوبهم وأنسوا بالشريعة والأحكام، ألغى النبى ﷺ بأمر الله تعالى

النهى عن زيارة القبور، لما فيها من الآثار الحسنة والنتائج الطيبة، ولهذا روى أصحاب الصحاح والسنن كابن ماجة والترمذى أنه ﷺ قال:

(كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها فإنها تزهد فى الدنيا وتذكر الآخرة).

وعلى هذا الأساس كان ﷺ يزور روضة السيدة آمنة بنت وهب رضوان الله عليها، وكان يأمر الناس بزيارة القبور، لأن زيارتها تذكر بالآخرة.

وقد روى مسلم فى صحيحه: (زار النبى قبر أمه، فبكى وأبكى من حوله.. وقال: استأذنت ربى فى أن أزور قبرها فأذن لى، فزوروا القبور فإنها تذكركم الموت).

وقالت السيدة عائشة رضى الله عنها؛ كما روى أبو داود وابن ماجة: (إن رسول الله ﷺ رخص فى زيارة القبور).

وقالت كما روى مسلم والنسائى: إن النبى ﷺ قال: (فأمرنى ربى أن آتى البقيع فأستغفر لهم.. قلت:

كيف أقول يا رسول الله؟.. قال: قولى: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، يرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون).

وجاء فى سنن النسائى فى أحاديث أخرى نص الكلمات التى كان رسول الله ﷺ يقولها عند زيارة القبور، وهى: (السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا وإياكم متواعدون غداً ومواكلون، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد).

وجاء فى حديث آخر للنسائى نص الكلمات بما يلى: (السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، أنتم لنا فرط ونحن لكم تبع، أسأل الله العافية لنا ولكم).

وفى حديث ثالث فى سنن أبى داود: (السلام عليكم دار قومٍ مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون).

ويستفاد من حديث السيدة عائشة رضى الله عنها، الذى ورد فى صحيح مسلم أن النبى ﷺ كان يخرج

إلى البقيع فى آخر الليل من كل ليلة، ويقول: (السلام عليكم دار قومٍ مؤمنين، وأتاكم ما توعدون وغداً مُوَجَّلون، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد).

ويستفاد من حديث آخر فى صحيح مسلم أن النبى ﷺ كان يزور المقابر مع جماعة من أصحابه، ويعلمهم كيفية الزيارة: (كان رسول الله ﷺ يعلمهم– إذا خرجوا إلى المقابر– فكان قائلهم يقول: السلام على أهل الديار، أو السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، أسأل الله لنا ولكم العافية).

النساء وزيارة القبور:

المسألة الأخيرة التى ينبغى التحدث عنها هى: زيارة النساء للقبور، وقد روى فى بعض الأحاديث أن رسول الله ﷺ نهى عن زيارة النساء للقبور كما جاء فى سنن ابن ماجة؛ (لعن رسول الله ﷺ زوَّارات

القبور).

ولكن يجب الانتباه إلى أن تحريم النساء من زيارة القبور - استدلالاً بهذا الحديث - غير صحيح، وذلك لعدة أمور:

الأول: إن كثيراً من العلماء يعتبرون هذا النهي نهي تنزيه وكراهة، وقد جاءت الكراهة لأسباب خاصة بذلك الزمان، يشير إليها صاحب كتاب: (مفتاح الحاجة فى شرح صحيح ابن ماجة)، فيقول: (اختلفوا فى الكراهة هل هى كراهة تحريم أو تنزيه؟.. ذهب الأكثر إلى الجواز إذا أمنت الفتنة).

الثانى: لقد مرَّ عليك - فى حديث السيدة عائشة عليها رضوان الله - أن النبى ﷺ رخص فى زيارة القبور.

فلو كان الترخيص خاصاً بالرجال لكان اللازم أن تذكر السيدة عائشة ذلك، خاصة وأنها من النساء، ومن الطبيعى أن النساء كن يتواجدن فى مسجد رسول الله ﷺ، وكان كل مخاطب يعتبر نفسه مشمولاً

للحكم إلا إذا صرح بالاستثناء.

ثالثاً: وقد مرّ عليك أيضاً أن النبى ﷺ علّم السيدة عائشة ما ينبغى قوله عند زيارة القبور، وكانت السيدة عائشة تزور القبور بعد رسول الله ﷺ وآله.

رابعاً: يروى الترمذى أنه لما مات عبد الرحمن ابن أبى بكر - شقيق السيدة عائشة رضى الله عنها - فى (الجُنْتى)، حملوا جثمانه إلى مكة ودفنوه فيها، ولما جاءت السيدة عائشة إلى مكة - من المدينة - خرجت لزيارة قبر أخيها وأنشدت بيتين من الشعر فى رثائه.

يقول شارح صحيح الترمذى - الحافظ ابن العربى المولود سنة ٤٣٥ هـ والمتوفى سنة ٥٤٣ هـ -: (الصحيح أن النبى ﷺ سمح للرجال والنساء بزيارة القبور، والذى يقول بالكراهة فإنما هو بسبب جزعهن عند القبر وقلة صبرهن، أو لعدم رعايتهن للحجاب).

خامساً: يروى البخارى عن أنس أنه قال: (مرّ النبى ﷺ بامرأة تبكى عند قبر، فقال: إتقِ الله

واصبرى، قالت: إليك عنى، فإنك لم تصب بمصيبتى، ولم تعرفه.. فقيل لها: إنه النبى ﷺ!.. فأتت باب النبى ﷺ فقالت: لم أعرفك!.. فقال ﷺ: إنما الصبر عند الصدمة الأولى).

فإذا كانت زيارة القبور محرمة لنهاها النبى ﷺ عن الزيارة، ولكنك ترى أنه ﷺ أوصاها بالتقوى والصبر عند المصيبة، ولم ينهها عن زيارة المقابر.

سادساً: ذكر الحاكم فى المستدرك، والسمهودى فى وفاء الوفا، أن السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بنت رسول الله ﷺ، كانت تخرج إلى زيارة روضة عمها حمزة، فى كل جمعة أو أقل من ذلك– وكانت تصلى عند روضته وتبكى.

سابعاً: يقول القرطبى: (لم يلعن النبى ﷺ كل امرأة تزور القبور، بل لعن المرأة التى تزور القبور دوماً، والدليل على ذلك قوله ﷺ: (زوَّارات القبور)، وكملة (زوّار) هى صيغة المبالغة، وتدل على الكثرة والتكرار).

D:\كتب\الوهابية\٢٥doc.

ولعل العلة فى لعن (زوّارات القبور) هى أن الإكثار منها يؤدى إلى ضياع حق الزوج، ويجرها إلى التبرج المنهى عنه، ويكون مصحوباً بالبكاء بصوت عال، ولكن لو كانت الزيارة خالية عن كل محذور فلا إشكال فيها أبداً، لأن تذكر الموت والآخرة مما يحتاج إليه الرجل والمرأة على السواء.

ثامناً: إن زيارة القبور– فى الوقت الذى تؤدى إلى الزهد فى الدنيا وزخارفها– تعود بالنفع على الميت، إذ أن الزيارة– عادة– تكون مقرونة بتلاوة سورة الفاتحة وإهدائها إلى روحه، وهذه الهدية هى أفضل ما يقدمها الإنسان الحىّ إلى روح فقيده الغالى.

يروى ابن ماجة عن النبى ﷺ أنه قال: (إقرأوا يس على موتاكم) (حديث رقم ١٤٤٨).

فما هو الفرق بين الرجل والمرأة– من هذه الجهة– حتى تكون زيارة أحدهما جائزة والأخرى محرّمة، لولا المحذورات الخاصة المذكورة؟!.

والآن.. وبعد أن ثبت جواز زيارة القبور، جاء

دور التحدث عن الآثار الحسنة والنتائج الإيجابية لزيارة روضات أولياء الله الصالحين.

النتائج البنّاءة لزيارة روضات الشخصيات الدينية:

إن المراقد التى تحظى باهتمام واحترام المؤمنين بالله فى العالم- وخاصة المسلمين- هى فى الغالب روضات حملة الرسالات الإصلاحية الذين أدوا مهمتهم على الوجه المطلوب.

وهؤلاء ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

١) الأنبياء والقادة الدينيون الذين حملوا على عاتقهم رسالة السماء، وضحوا- من أجلها- بالنفس والمال والأحباب، وتحملوا أنواع المتاعب والمصاعب من أجل هداية الناس.

٢) العلماء والمفكرون الذين كانوا كالشمعة تُحرق نفسها لتُضئ للآخرين، وقد عاش هؤلاء حياة الزهد والحرمان، وقدموا للعالم البحوث القيمة والتحقيقات الرائعة فى مجالات العلم والفكر والطبيعة ومفاهيم

السماء وعلوم الكون والمخلوقات وغير ذلك.

٣) المجاهدون الثائرون الذين ضاقوا ذرعاً مما يعيشه المجتمع من الظلم وسحق الحقوق والتمييز العنصرى أو القومى، فثاروا ضد الظلم والطغيان وطالبوا بحفظ كرامة الإنسان وأداء حقوقه، وأقاموا صرح العدالة بدمائهم الغالية.

إن أية ثورة أو تغيير اجتماعى لا يقدَّر له النجاح إلا بدفع الثمن، وإن ثمن الثورة التى تستهدف تدمير قصور الظالمين وخنق أنفاسهم هو الدماء الزكية التى يضحى بها المقاتلون الأبطال لإعادة الحق والحرية إلى الوطن الإسلامى.

إن الناس يزورون روضات هؤلاء ويذرفون عندها الدموع، ويتذكرون بطولاتهم وتضحياتهم، ويسعدون أرواحهم بتلاوة آيات من القرآن الحكيم هدية إليهم، وينشدون قصائد فى مدحهم وثنائهم وتقدير مواقفهم المشرفة.

إن زيارة روضات هذه الشخصيات هى نوع من

الشكر والتقدير على تضحياتهم، وإعلام للجيل الحاضر بأن هذا هو جزاء الذين يسلكون طريق الحق والهدى والفضيلة والدفاع عن المبدأ والعقيدة.

إن جزاءهم هو خلود الذكر، الذكر الحسن والثناء الجميل، بالرغم من مرور الزمان على وفاتهم.

من هنا نعرف ضرورة إحياء ذكريات الشخصيات الدينية، وعلى هذا الأساس ينبغى العمل على إبقاء ذكرياتهم حيّة ساخنة، والمحافظة على آثارهم، وإقامة المهرجانات فى ذكرى مواليدهم، والحداد والحفلات التأبينية فى ذكرى وفياتهم، وعقد المجالس والاجتماعات الكبرى، وإلقاء الخطب المفيدة، وتعريف الناس على تلك القدوة الراقية وعلى معتقداتهم التى ضحوا من أجلها، واحترام مراقدهم وتجنب كل ما يمس بكرامتها، لأن احترام روضاتهم احترام لرسالاتهم وعقائدهم، كما أن أى نوع من الإهانة والتحقير تجاه روضاتهم هو فى الحقيقة إهانة لرسالاتهم وتحقير لشخصيتهم.

فى هذه الأيام عندما يدخل الإنسان فى مقبرة البقيع لزيارة روضات آل رسول الله ﷺ وروضات قادة الإسلام وحماة الدين والصحابة، يرى تلك الروضات فى حالة يرثى لها من الإهانة والتصغير، مما يهتز له الضمير وتأخذه الدهشة من قساوة قلوب الزمرة الوهابية التى تدعى حماية الإسلام وصيانته، حيث إنهم- من جانب- يذكرون الصحابة بالخير والتمجيد ويثنون عليهم على المنابر، ومن جانب آخر يتركون روضاتهم عارية عن كل احترام وتكريم، وفى حالة فظيعة من الإهانة والإهمال، ولا يبالون حتى لو أفسدت الحيوانات أطراف روضاتهم!.

أما لفظة الشرك والمشرك؛ فهى الهدية الوحيدة التى يقدمها الوهابيون إلى الحجاج والزائرين، يرمونهم بهذه الكلمات لأن المسلمين يعظمون قادة الدين ويمجدون أولياء الله الصالحين، فكأن الوهابيين يضمرون الحقد والبغضاء لأولياء الله وقادة دينه.

ثانياً السفر للزيارة :

إن الوهابيين- على ما يبدو- يجوزون أصل الزيارة، ولكنهم يحرمون السفر بهدف الزيارة.

يقول محمد بن عبد الوهاب- فى الرسالة الثانية من رسائل الهدية السنية-: (تسن زيارة النبى- ﷺ- إلا أنه لا يُشد الرحال إلا لزيارة المسجد والصلاة فيه).

والدليل الذى يتمسكون به فى تحريم الزيارة هو الحديث المذكور فى الصحاح عند مسلم وأبى داود والنسائى عن أبى هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدى هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى).

وروى هذا الحديث بصورة أخرى وهى: (إنما يسافر إلى ثلاثة مساجد: مسجد الكعبة، ومسجدى، ومسجد إيليا).

وروى أيضاً بصورة ثالثة وهى: (تشد الرحال إلى

ثلاثة مساجد..).

لا شك فى وجود هذا الحديث فى الصحاح، ولسنا الآن فى مقام مناقشة الحديث، بل مقصودنا مفاد الحديث.

ولنفرض أن نص الحديث هو: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد..)، فمن الثابت أن (إلا) هى أداة الاستثناء ولابد من وجود المستثنى منه، ويجب تحديده، وبما أنه مفقود فى النص فلابد من تقديره فى الكلام، وقبل الإشارة إلى القرائن الموجودة يمكن تقدير المستثنى منه فى صورتين:

١) لا تشد الرحال إلى مسجد من المساجد إلا ثلاثة مساجد..

٢) لا تشد الرحال إلى مكان من الأمكنة إلا إلى ثلاثة مساجد..

إن فهم الحديث والوقوف على معناه يتوقف على أحد هذين التقديرين، فإن اخترنا التقدير الأول كان معنى الحديث عدم شد الرحال إلى أى مسجد من

المساجد سوى المساجد الثلاثة، ولا يعنى عدم جواز شد الرحال إلى أى مكان حتى لو لم يكن مسجداً.

فلا يشمل النهى من يشد الرحال لزيارة الأنبياء والأئمة الطاهرين والصالحين، لأن موضوع البحث هو شد الرحال إلى المساجد- باستثناء الثلاثة المذكورة- وأما شد الرحال إلى زيارة الروضات والمشاهد المشرفة فليس مشمولاً للنهى ولا داخلاً فى موضوعه.. هذا على التقدير الأول.

وأما على التقدير الثانى؛ فلازمه أن تكون كافة السفرات المعنوية- ما عدا السفر إلى المناطق الثلاث المذكورة- محرمة، سواء كان السفر من أجل زيارة المسجد أو زيارة مناطق أخرى.

ولكن القرائن والدلائل تشير إلى أن التقدير الأول هو الصحيح، بناء على صحة سند الحديث واعتباره.

أما القرائن على صحة التقدير الأول فهى كالآتى:

أولاً: لأن المساجد الثلاثة هى المستثناة، والاستثناء هنا متصل- كما هو واضح- فلابد أن يكون المستثنى

D:\كتب\الوهابية\٢٥doc.

منه من جنس المستثنى وهو: المساجد لا المكان.

ثانياً: لو كان الهدف هو منع كافة السفرات المعنوية لما صح الحصر فى هذا المقام، لأن الإنسان يشد الرحال فى موسم الحج للسفر إلى عرفات، والمشعر، ومنى.. فلو كانت السفرات الدينية- لغير المساجد الثلاثة- محرمة، فلماذا يشد الرحال إلى هذه المناطق؟.

ثالثاً: لقد أشار القرآن الكريم والأحاديث الشريفة إلى بعض الأسفار الدينية، وجاء التحريض عليها والترغيب فيها، كالسفر من أجل الجهاد فى سبيل الله وطلب العلم وصلة الرحم وزيارة الوالدين وما شابه ذلك، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة: ١٢٢).

ولهذا فقد فسر كبار الباحثين والمحققين الحديث المذكور بما أشرنا إليه، فمثلاً يقول الغزالى- فى كتاب إحياء العلوم-: (القسم الثانى: وهو أن يسافر

لأجل العبادة إما لحج أو جهاد.. ويدخل فى جملتـــه: زيارة قبور الأنبياء عليهم الــسلام، وزيــارة قبــور الصحابة والتابعين وسائر العلماء والأولياء، وكل من يتبرك بمشاهدته فى حياته يتبرك بزيارته بعد وفاته، ويجوز شد الرحال لهذا الغرض، ولا يمنع من هــذا قوله ﷺ: (لا تشد الرحال إلا إلـــى ثلاثـــة مـــساجد؛ مسجدى هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى).. لأن ذلك فى المساجد، فإنها متماثلة فى الفضيلة بعــد هذه المساجد، وإلا فلا فرق بين زيارة قبور الأنبيـــاء والأولياء والعلماء فى أصل الفضل، وإن كان يتفاوت فى الدرجات تفاوتاً عظيماً بحسب اختلاف درجـــاتهم عند الله) (كتاب آداب السفر– طبعـــة دار المعرفـــة– بيروت– ج٢ ص٢٧٤).

من هنا.. فإن المنهى عنه– فى هذا الحديث– هو شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة، مـــن المـــساجد الأخرى، ولا علاقة له بالسفر للزيـــارة أو لأهـــداف معنوية أخرى.

D:\كتب\الوهابية\٢٥.doc

وهنا لابد من الإشارة إلى أن النبى ﷺ عندما قال: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد..) فإنه لا يعنى أن شد الرحال إلى المساجد الأخرى حرام، بل معناه أن المساجد الأخرى لا تستحق شد الرحـــال إليهـــا، وتحمل مشاق السفر من أجل زيارتها، لأن المـــساجد الأخرى لا تختلف– من حيث الفضيلة– مع الآخـــر اختلافاً كبيراً، فالمسجد– سواء فى المدينـــة أو فـــى القرية أو فى المنطقة– لا يختلف مع الآخر اختلافـــاً كثيراً، وعليه فلا داعى إلى أن يشد الإنسان الرحـــال إليه، أما إذا شد الرحال إليه فليس عمله هذا حرامـــاً ولا مخالفاً للسنة الشريفة.

ويدل عليه ما رواه أصحاب الـــصحاح والـــسنن كالبخارى ومسلم والنسائى: (كان رسول الله ﷺ يأتى مسجد قباء راكباً وماشياً فيصلى فيه ركعتين).

ولنا أن نتساءل: كيف يمكن أن يكون شد الرحال وقطع المسافات من أجل إقامة الصلاة– مخلصاً لله– فى بيت من بيوته سبحانه حراماً ومنهياً عنه؟!.

إذا كانت الصلاة فى المسجد مستحبة، فإن الظاهر أن مقدمة المستحب مستحبة أيضاً.

خلاصة القول

أن زيارة القبور على أقسام:

القسم الأول: أن يكون لمجرد تذكر الموت والآخرة، وهذا يكفى فيه رؤية القبور من غير معرفة بأصحابها، ولا قصد أمر آخر من الاستغفار لهم، ولا من التبرك بهم، ولا من أداء حقوقهم، وهو مستحب لقوله ﷺ: (زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة) [رواه مسلم والترمذى والنسائى وابن ماجة].

والإنسان إذا شاهد القبر تذكر الموت وما بعده، وفى ذلك عظة واعتبار، وهذا المعنى ثابت فى جميع القبور، ودلالة القبور على ذلك متساوية، كما أن المساجد غير المساجد الثلاثة متساوية لا يتعين شىء منها بالتعين، بالنسبة إلى هذا الغرض.

القسم الثانى: زيارتها للدعاء لأهلها، وهذا مستحب فى حق كل ميت من المسلمين، كما ثبت من زيارة النبى ﷺ لأهل البقيع، قال النووى فى شرح صحيح مسلم وهو حديث صحيح بلا شك، روى مسلم أنه كلما كانت ليلة عائشة من رسول الله ﷺ يخرج من آخر الليل إلى البقيع، فيقول: (السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون). وكان رسول الله ﷺ فى كل سنة يزور شهداء بدر مرة أو مرتين، ويزور شهداء أحد فى كل جمعة، وتأسى به أبو بكر وعمر رضى الله عنهما، وصار أنس السالكين فى المقابر، فكان سيدنا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يأخذ المصحف ويخرج إلى القبور، فيجلس بينها، وصارت سنة أهل السلوك بعده، وهو إمامهم ﷺ فى هذا.

هذا، وإن الأرواح لتنتفع بزيارة أهل الصلاح والتقوى، وتتنزل الرحمات على أهل القبور.

القسم الثالث: لأداء حقهم، فإن من كان له حق على الشخص، فينبغى له بره فى حياته، وبعد موته،

والزيارة من جملة البر، لما فيها من الإكرام، ويشبه أن تكون زيارة النبى ﷺ لروضة والدته السيدة آمنة عليها السلام من هذا القبيل.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن يعرفه فى الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام) [أورده الزبيدى، والسيوطى، وابن كثير فى تفسيره].

وروى عن السيدة فاطمة عليها السلام أنها كانت تزور روضة سيدنا حمزة ﷺ، وشهداء أحد كل يوم جمعة، أو بين اليومين والثلاثة، وكفى بفعلها دليلاً وحجة.

القسم الرابع: للتبرك بأهله، إذا كانوا من أهل الصلاح والخير.. ويدخل فى ذلك روضات الأنبياء وروضات الأولياء والصالحين، وعلى رأسها روضة سيدنا ومولانا محمد ﷺ، ولم يشذ عن ذلك فى التاريخ الإسلامى بأسره إلا ابن تيمية وأتباعه الوهابية، الذين ينكرون زيارة روضة النبى ﷺ

وروضات الصالحين. والمتلخص من مذهب الإمام مالك: أن الزيارة قربة، والمذاهب الثلاثة الأخرى يقولون باستحبابها، واستحباب الإكثار منها، لأن الإكثار من الخير خير.

وقد رد على ابن تيمية وأتباعه العديد من علماء الأمة الأجلاء نذكر منهم: الإمام تقى الدين أبو الحسن على السبكى فى كتابه (شفاء السقام فى زيارة خير الأنام)، وسند المحدثين الشيخ محمد البرلسى فى كتابه (إتحاف أهل القرآن برؤية الأنبياء والملائكة والجان)، وشهاب الدين الخفاجى فى كتابه (نسيم الرياض شرح شفاء القاضى عياض)، وابن حجر الهيتمى المكى فى كتابه (الجوهر المنظم فى زيارة القبر المكرم) وغيرهم.

والسؤال الأخير ما هى فوائد زيارة روضات الأولياء؟ :

١- أن نتذكر عندها أن هؤلاء مؤمنون، اضطلعوا

بوقائع مجتمعـــاتهم، وحقـــائق الرســـالة المحمديـــة، فحملوها وأدوا ما تحملوه عبر حياتهم، فنقتدى بهـــم، ونتأسى بجهادهم.

٢- نتعلم أن هؤلاء رأوا الانحرافات فى عالمنـــا الإسلامى على مر العصور والدهور، فلم يواجهوهـــا بالخطب المنبرية فحسب، بل بتأجيج نار الثورة على تلك الانتكاسات والردات فى حياة الأمة الإســـلامية، حتى إذا ما لقوا الله على ذلك كان موتهم رعباً لأقسى الجلادين قلباً، وهم يرتلون قول إمام المجاهدين سيدنا الحسين عليه السلام: (من لحق بى فقد استشهد، ومـــن لـــم يلحق لم يبلغ الفتح).

٣- إن سر عظمة هؤلاء أن أرواحهم حملت قيمهم التى آمنوا بها، وضحوا من أجلها، فكان حقاً على تلك القيم أن تحمل أرواحهم إلى آفاقها الرحبـــة، لتبقـــى الأرواح متألقة، تطل من سماواتها على زائريها مـــن عشاق الجهاد.

الفصل الرابع

مشروعية التوسل بالأنبياء والأولياء

يعتبر التوسل بأولياء الله وأحبائه مـــن المـــسائل المعروفة بين المسلمين فى كافة أنحاء العـــالم، وقـــد وردت أحاديث كثيرة فى جوازه واســـتحبابه، فلـــيس ظاهرة غريبة، بل هو أمـــر دينـــى تعـــارف عليـــه المسلمون منذ فجر الإسلام حتى هذا اليوم، ولا تجـــد مسلما ينكره.

وطوال أربعة عشر قرنا لم ينكره أحد سوى ابـــن تيمية وتلاميذه فى القرن الثامن الهجرى، وبعد منـــه جاء محمد بن عبد الوهاب فاعتبر التوسل بأولياء الله بدعة - تارة - وعبادة للأولياء - تارة أخرى -.

لا شك أن عبادة غير الله شرك وحـــرام، ولـــيس الحديث الآن عن العبادة ومعناهـــا وحقيقتهـــا، لأنـــه حديث مهم وحساس، إنما الحـــديث فـــى مـــشروعية

التوسل بالأولياء والأنبياء.. فنقول :

اعلم أن التوسل بالأنبياء وبأولياء الله تعالى على صورتين:

١ – التوسل بالأنبياء والأولياء أنفسهم، كأن نقول:

"اَللّهُمَّ إنّى أتَوَسَّلُ إلَيْكَ بِنَبِيَّكَ سيدنا مُحَمّدٍ – صلّى الله عليه وآله وسلّم – أَنْ تَقْضِيَ حاجَتى".

٢– التوسّل بمنزلة الأنبياء والأولياء وجاهِهم عند الله تعالى، كأن نقول :

"اَللّهُمَّ إنّى أتَوَسَّلُ إلَيْكَ بجاه سيدنا مُحَمّدٍ وحُرْمَتِهِ وَحَقِّهِ أن تَقْضِيَ حاجَتى".

أما الوهابيون فإنهم يحرمون الصورتين معا، فى حين أن الأحاديث الشريفة وسيرة المسلمين تشهدان بخلاف ما يدعيه الوهابيون، وتؤكدان جواز الصورتين معا.

والسؤال الآن ما معنى الوسيلة لغة ؟

الوسيلة لغة : كل ما يتقرب به إلى الغير، توسل إلى الله تعالى توسلا : عمل عملاً تقرب به إليه،

D:\كتب\الوهابية\٢٥doc.

فتحقق منه أن التوسل لا يسمى عبادة قطعا، ولا يقال فيه عبادة إنما هو وسيلة إليها، والتوسل لا تقرب فيه للمتوسل به، ولا تعظيمه غاية التعظيم حتى يكون عبادة، وإنما يرى ذلك من باب الأدب.

أما أقسام التوسل فهى :

أولا : التوسل بالحى : لا خلاف عند كل المسلمين فى جواز التوسل بالحى، كتوسل الصحابة برسول الله، وتوسل عمر بن الخطاب بالعباس عم رسول الله ﷺ وآله.

ثانيا : التوسل بالعمل الصالح : لا خلاف أيضا عند كل المسلمين على جواز التوسل بالعمل الصالح، لما ورد فى صحيح البخارى فى قصة الثلاثة الذين آووا إلى غار، فسال السيل فألقى على الغار صخرة سدت فمه، فصاروا لا يستطيعون الخروج فتوسلوا إلى الله بأعمالهم الصالحة، فأنجاهم الله، وإذا جاز التوسل بالأعمال وهى مخلوقة، قال تعالى : ﴿**وَاللَّهُ**

خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الصافات: ٩٦). فكيف لا يجوز التوسل بصاحب العمل وهو مخلوق أيضاً؟.

ثالثا : التوسل بالميت : هنا نقطة الخلاف بين المسلمين، منهم من أيد، ومنهم من عارض، وعلى فرض عدم صحة الوسيلة بالميت، فإن الميت من مات فآل إلى سجين، أما من مات فرفع إلى عليين فليس بميت، قال تعالى : ﴿ **كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّين** ﴾(**المطففين :١٨**)، وقال تعالى : ﴿**كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ لَفِي سِجِّين** ﴾ (**المطففين :٧**). وقال سبحانه : ﴿**وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّه أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ** ﴾ (**آل عمران:١٦٩**)، فصحت الوسيلة بمن انتقلوا إلى عليين مفارقين الدنيا، لأنهم أحياء، والمتوسل إنما يتوسل إلى الله الذى لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء. وإذا كان الشهداء أحياء، فكيف تكون حياة من أكرم الله باتباعه الشهداء بالحياة الدائمة؟.

وهنا نورد حجة تقصم ظهر كل معاند، وهى أنه

ورد فى أحاديث الإسراء بالأسانيد الصحيحة، إن جبريل – عليه السلام – أنزل رسول الله ﷺ عند بيت لحم حيث ولد عيسى، وعند قبر موسى، فنزل وصلى، أى : دعا متوسلا إلى الله تعالى .. ومن أنكر الإسراء، وما أكرم به الله حبيبه ﷺ فيه، فهو عدو محارب يجب أن نتبرأ منه، لأن هذا الإسراء أمر معلوم من الدين بالضرورة .. وقد نفع الله الأحياء من أمة الإسلام بسيدنا موسى بعد انتقاله بتخفيف الصلاة.

قال الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم – رضي الله عنه – :

وإن كان أهل الجهل لم يتوسلوا
بميت ولكن ما لهم برهان
توسل بمحبوب إلى الله موقناً
بنيل العطايا يمنح الحنان
ولا تلتفت للمنكرين إذ ادعوا
عليك بشرك فالهوى خسران
يلبيك رب العرش عند سؤاله

بصفــوته والمنعـــم الـــديان

إذا كان جبــــريل الأمين بحجة

دعا المصطفـــى فى قوله برهان

ألا انزل على قبر الكليم وصل يا

ضيـــا الأنبيـــا والأمــر فيه بيان

وفى بيت لحــم فانزلن صل داعيا

وهــل بعــد هــــذا حجة برهان

وأخرج الطبرانى فى معجمه الكبيــر والأوســط، بسند رجاله رجال الصحيح، وابن حبان والحاكم عن أنس قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد أم على – رضى الله عنهما –، دخل عليها رسول الله ﷺ ... الحديث، وفى آخره : (أنه لما فرغ من حفر لحــدها، دخــل رسول الله ﷺ فاضطجع فيه وقال: الله الذى يحيــى ويميت، وهو حى لا يموت، اغفر لأمى فاطمة بنــت أسد، ولقنها حجتها، ووسع عليها مدخلها، بحق نبيــك والأنبياء الذين من قبلى فإنك أرحم الراحمين).

ففى هذا الحديث الثابت، توســله عليــه الــصلاة

D:\كتب\الوهابية\٢٥doc.

والسلام، إلى ربه بذاته، التى هى أرفع الذوات قدرا، وبإخوانه من النبيين، وجلهم فى دار الحــق علــيهم جميعا الصلاة والسلام .. فــانظر بأيهمــا تقتــدى: أبرسول الله ﷺ، أم بهؤلاء المبتدعة، المغــالين فــى بدعتهم، فى منعهم التوسل بمن انتقل مــن الأنبيــاء والصالحين، وعدهم ذلك غير مشروع أو شركا؟!!.

خلاصة القول . أن المراد من الاستغاثة والتوسل بالأنبياء والصالحين، هو أنهم أسباب ووسائل لنيــل المقصود، والله تعالى هو الفاعل كرامة لهم، لا أنهــم هم الفاعلون.

قال الإمام أبو العزائم – رضي الله عنه –:

لقد وضـــع الأسباب ربك حكمة

ليشهــد فيــها يظهــــر التبيان

فمن شهد الأسباب تفعل فهو فى

ضـــــلال مبيــن قاله القــرآن

ومن شهد الأسباب تنــبى بأنها

أواســـط فيها الفضل والإحسان

وهذا شهــود العـــارفين بربهم

لقــد خصهم فضلا به الرحمن

والسؤال الذى يفرض نفسه هو: مـــا هـــى أدلـــة التوسل فى القرآن والسنة ؟

أولا : أدلة التوسل من القرآن الكريم :

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الوَسِيلَةَ﴾ (المائدة : ٣٥). وظاهر الآية تخصيص الوسيلة بالذوات، وليس بالأعمال، وإلا لاكتفى سبحانه بالتقوى.

٢- قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَـــافُونَ عَذَابَهُ ﴾ (الإسراء : ٥٧)، وهذه الآية إخبـــار عـــن الملائكة، ورحمته التى يرجونها معلومة فـــى قولـــه تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء :١٠٧).

٣- قوله تعالى : **﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى**

الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾(القصص : ١٥)، فنسب الله تعـــالى الاستغاثة إلى غيره من المخلوق وكفى به دليلا على جوازها.

٤- قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُـــوا أَنفُـــسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُـــمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً﴾ (النساء :٦٤)، واستغفاره ﷺ لأمته لا يتقيد بحال حياته.

ثانيا : أدلة التوسل من السنة الشريفة:

إن الأحاديث التى تدل على جواز التوسل بأولياء الله وأنبيائه كثيرة جدا، وهى متواجدة فى كتب التاريخ والحديث، وفيما يلى نذكر نموذجا منها :

الحديث الأول :

١- عن عثمان بن حنيف أنه قال :

[إنَّ رَجُلاً ضريراً أَتى إلى النبـــيّ – : صـــلّى الله عليه وآله وسلّم – فَقالَ : أُدْعُ الله أَنْ يُعافيَنى.

فَقالَ – صلّى الله عليه وآله وسلّم – إنْ شِئْتَ دعوت، وإن شئت صبَرت وَهُوَ خَيْرٌ؟

قالَ: فَادْعُهُ. فَأمَرهُ ﷺ أنْ يَتَوضَّأ فَيُحْسِنَ وُضوءهُ وَيُصلّىَ ركْعَتيْنِ ويَدْعُو بِهذا الدُعاء : (اللّهُمَّ إنى أسألك وَأتوَجَّهُ إليك بِنَبِّيكَ نَبىّ الرَّحْمة، يامُحَمّد إنّى أتَوجَّه بِكَ إلى رَبىّ فى حاجَتى لِتُقْضى. اللّهُمَّ شَفِّعْهُ فِىَّ).

قال ابن حنيف :

(فَوَالله ما تَفَرَّقْنا وَطالَ بِنَا الحديث حَتّى دَخَلَ عَليْنا كَأنْ لم تَكُنْ بِهِ ضُرٌ].

كلمة حول سند الحديث:

لا كلام فى صحة سند هذا الحديث، حتى أن إمام الوهابيين – ابن تيمية – اعتبر هذا الحديث صحيحا وقال بأن المقصود من "أبى جعفر" الموجود فى سند الحديث هو أبو جعفر الخطمى وهو ثقة .

وقد أورد هذا الحديث النسائى والبيهقى والطبرانى

والترمذى والحاكم فى مستدركه، وابن ماجه، والإمام أحمد، والسيوطى فى الجامع الصغير، والتاج الجامع للصحاح الخمسة باستثناء ابن ماجة ..

بعد هذا كله .. لا مجال للمناقشة فى سند الحديث أو الطعن فيه.

وأما دلالته فلو قدمت هذا الحديث إلى من يحسن اللغة العربية جيدا ويتمتع بصفاء فكر، بعيد عن مجادلات الوهابيين وشبهاتهم حول مسألة التوسل، ثم سألته: بماذا أمر النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – ذلك الأعمى عندما علمه ذلك الدعاء؟

فسيكون جوابه – فوراً–: لقد علمه النبى كيف يتوسل إلى الله بنبيه نبى الرحمة، ويشفعه لقضاء حاجته.

وهذا المعنى هو بالضبط ما يفهم من كلمات الحديث المذكور، وفيما يلى نقسم الحديث إلى جمل لمزيد التوضيح:

أ : "اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك".

إن كلمـــة "نبيـــك" تتعلـــق بمـــا قبلهـــا، أى: "أسألك"و"أتوجه إليك" وبعبارة أوضح: إنه يـسأل الله تعالى بواسطة النبي – صلى الله عليه وآله سلم – كما أنه يتوجه إلى الله بجـاه النبـى ووسـيلته أيـضا، والمقصود من "النبى" نفسه المقدسة لا دعاؤه.

أما من يجعل كلمة "دعاء" مقدرا للنبى، فى قوله: "أسألك بنبيك" فهو يتحكم بلا دليل ويـدعى خـلاف الظاهر، والسبب فى هذا الادعاء هو أنـه لا يعتقـد بالتوسل بنفس النبى، فيلجأ إلى تقدير "دعاء" ليقـول: إن التوسل بدعاء النبى لا إشكال فيه، وبهـذا يبـرر باطله.

ب : "محمد نبى الرحمة"

لكى يتضح أن المقصود هـو الـسؤال مـن الله بواسطة النبى وشخصيته وحرمته فقد جاءت بعد كلمة "نبيك" جملة "محمد نبى الرحمة" لكى يتضح الهـدف أكثر.

ج: إن جملة : ".. يا محمد إنى أتوجه بـك إلـى

ربى" تدل على أن الرجل اتخذ النبى نفـسه وسـيلة لدعائه، لا دعاءه – ﷺ– أى: أنه توسل بذات النبـى لا بدعائه.

د: إن قوله : "وشفعه فىَّ " معناه: يا رب اجعـل النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – شفيعى وتقبـل شفاعته فى حقى.

أيها القارئ الكريم : لقد اتـضح لـك أن النقطـة المركزية فى الدعاء كله هو شـخص رسـول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – وشخصيته الكريمة، ولا ذكر لدعائه أصلا.

وكل من يزعم أن ذلك الرجل الضرير قد توسـل بدعاء النبى لا بشخصه وشخصيته، فإنما تغافل عـن نصوص الرواية وتجاهلها.

وأنت لو تأملت قوله : "اللهم إنى أسألك وأتوجـه إليك بنبيك نبى الرحمة" وقوله: "يا محمد إنى أتوجـه بك إلى ربى" لظهر لك – بكل وضوح – أن التركيز إنما هو على شخص رسول الله – صـلى الله عليـه

وآله وسلم – ولو كان الهدف هو دعاء النبى لكان الصحيح أن يقول : أسألك بدعاء النبى.

الحديث الثانى : التوسل بحق السائلين

روى عطية العوفى عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – قال:

(من خرج من بيته إلى الصلاة فقال : اللهم إنى أسألك بحق السائلين عليك، وأسألك بحق ممشاى هذا، فإنى لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة، وخرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك، فأسألك أن تعيذنى من النار وأن تغفر لى ذنوبى، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، أقبل الله عليه بوجهه، واستغفر له سبعون ألف ملك) (سنن ابن ماجه : ج ١ ص ٢٥٦ حديث رقم ٧٧٨) .

إن هذا الحديث واضح جدا فى معناه، ويدل على أن للإنسان أن يتوسل إلى الله بحرمة أوليائه الصالحين ومنزلتهم ووجاهتهم عنده سبحانه، فيجعل

D:\كتب\الوهابية\٢٥doc.

أولئك وسطاء وشفعاء لقضاء حاجته واستجابة دعائه، ودلالة الحديث على الموضوع الذى نتحدث عنه واضحة.

الحديث الثالث: التوسل بحق النبى الكريم قبل وجوده البشرى:

إن النبى آدم – عليه السلام– عندما صدر منه ما كان الأولى عدم صدوره، وتاب إلى الله تعالى مما صدر منه تلقى من ربه كلمات، كما أشار القرآن الكريم:

﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة :٣٧).

إن المفسرين والمحدثين أعربوا عن آرائهم ووجهات نظرهم تجاه هذه الآية ومعناها، وذلك استنادا إلى بعض الأحاديث، وفيما يلى نذكر بعض الأحاديث لنرى النتيجة التى نحصل عليها بعد ذلك :

أخرج الطبرانى فى المعجم الصغير، والحاكم فى

مستدركه، وأبو نعيم الأصفهانى فى حلية الأولياء، والبيهقى فى دلائل النبوة، وابن عساكر الدمشقى فى تاريخه، والسيوطى فى تفسير الدر المنثور، والألوسى فى تفسير روح المعانى، عن عمر بن الخطاب، عن رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – أنه قال :

(لما أذنب آدم الذى أذنبه، رفع رأسه إلى السماء فقال : أسألك بحق محمد إلا غفرت لى. فأوحى الله إليه: ومن محمد! فقال: تبارك اسمك، لما خلقت رفعت رأسى إلى عرشك فإذا فيه مكتوب : لا إله إلا الله محمد رسول الله. فقلت : إنه ليس أحد أعظم عندك قدراً ممن جعلت اسمه مع اسمك، فأوحى إليه : إنه آخر النبيين من ذريتك، ولولا هو لما خلقتك).

وقد ذكر السيد أحمد زينى دحلان فى الدرر السنية أن القاضى عياض، والسبكى فى شفاء السقام، والسمهودى فى وفاء الوفا، والقسطلانى فى المواهب.. وغيرهم، ذكروا توسل النبى آدم عليه السلام بسيدنا ومولانا محمد ﷺ، ولهذا ترى الإمام أنس–

D:\كتب\الوهابية\٢٥doc.

إمام المالكية– يقول للمنصور فى مسجد رسول الله ﷺ: (هو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم).

الحديث الرابع : توسل السيدة هاجر رضى الله عنها :

روى البخارى استغاثة السيدة هاجر – رضى الله عنها – لما أدرك ولدها إسماعيل عليه السلام العطش، وسمعت صوتا لا ترى شخصا، فقالت : أغث إن كان عندك غوث.

الحديث الخامس : التوسل بعباد الله الصالحين :

روى الحاكم وأبو عوانة والبزار وابن تيمية فى الكلم الطيب عن النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – قال: (إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة، فلينادِ يا عباد الله احبسوا).

وفى هذا الحديث نداء وطلب ونفع .

أيها القارى الكريم : لقد ذكرنا – حتى الآن– مجموعة من الأحاديث المروية فى التوسل، اعتمادا على كتب التاريخ والحديث لأهل السنة.

ولنا أن نتساءل: هل يجب أن نأخذ المعارف الإسلامية والأحكام الشرعية من "ابن تيمية" و"محمد بن عبد الوهاب"ونظرائهما أم من عترة رسول الله التى نص النبى –فى حديث الثقلين –على أنها الثقل الأصغر وعدل القرآن؟!!..وحديث الثقلين أخرجه مسلم فى صحيحه والإمام أحمد فى مسنده والحاكم فى المستدرك، قال رسول الله ﷺ وآله: (إنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدى أبداً، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض، فانظروا كيف تخلفونى فيهما).

إن كل مسلم – يملك ذرة من الوعى والإنصاف – يحكم بضرورة الأخذ من العترة الطاهرة التى أذهب الله عنها الرجس وطهرها تطهيرا.

فالأدعية التى ورد فيها التوسل بأولياء الله تعالى كثيرة وموزعة فى الصحيفة العلوية للإمام علىّ، ودعاء عرفة للإمام الحسين، والصحيفة السجادية للإمام زين العابدين، وغيرها من كتب الدعاء.

وفيما يلى نذكر نماذج من تلك الأدعية:

١- يقول الإمام على أمير المؤمنين عليه السلام فى دعاء له: (.. بحق محمد وآل محمد عليك، وبحقك العظيم عليهم أن تصلى عليهم كما أنت أهله، وأن تعطينى أفضل ما أعطيت السائلين من عبادك الماضين من المؤمنين، وأفضل ما تعطى الباقين من المؤمنين ..) (الصحيفة العلوية للسماهيجى، ص٥١).

٢- ويقول الإمام سيد الشهداء الحسين عليه السلام فى دعاء عرفة :

(....اللهم إنا نتوجه إليك- فى هذه العشية التى فرضتها وعظمتها – بمحمد نبيك ورسولك وخيرتك من خلقك).

٣- ويقول الإمام زين العابدين عليه السلام فى دعائه بمناسبة حلول شهر رمضان :

(... اللهم إنى أسألك بحق هذا الشهر، وبحق من تعبد فيه – من ابتدائه إلى وقت فنائه – من ملك قربته

أو نبى أرسلته أو عبد صالح اختصصته ...) (الصحيفة السجادية، دعاء رقم ٤٤).

وهنا نتساءل ما هى سيرة المسلمين فى التوسل ؟.

والجواب : لقد جرت سيرة المسلمين – فى حياة النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – وبعد انتقاله – على التوسل بأولياء الله والاستشفاع بمنزلتهم وجاههم عند الله تعالى.

وإليك نماذج من تلك السيرة :

١– ذكر السمهودي في وفاء الوفاء جـ ٢ ص ١٣٧٦ سؤال المنصور العباسي للإمام مالك بن أنس – إمام المالكية– عن كيفية زيارة رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – والتوسل به ، فقال لمالك:

يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو ، أم أستقبل رسول الله؟ فقال مالك في جوابه : لم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله يوم القيامة؟ بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله، قال الله

D:\كتب\الوهابية\doc٢٥.

تعالي : ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً**﴾ (النساء: ٦٤) .

٢– ذكر ابن حجر الهيثمي في الصواعق المحرقة هذين البيتين من الشعر للشافعي– إمام الشافعية–:

آل النبي ذريعتي وهمُ إليه وسيلتي
أرجو بهم أعطى غداً بيدى اليمين صحيفتى

بعد كل ما سبق من الأدلة والبراهين والشواهد، يمكن القول بأن الأنبياء والشخصيات الدينية السامية هم من الوسائل التي عناها الله تعالي بقوله :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الوَسِيلَةَ**﴾ (المائدة: ٣٥). وقد أمر تعالى باتخاذهم وسيلة إليه سبحانه.

ولا شك أن الوسيلة غير منحصرة في أداء الفرائض واجتناب المحرمات فقط ، بل تشمل المستحبات – التى من ضمنها التوسل بالأولياء – أيضا.

٣- يروى البخاري في صـــحيحه بـــاب صـــلاة الاستسقاء:

(إن عمر بن الخطاب كان إذا قحطـــوا استـــسقى بالعباس بن عبد المطلب- رضي الله عنه - وقـــال : اللهم كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليـــك بعم نبينا فاسقنا.

قال : فيسقون).

لا كلام في صحة هذا الحديث، حتي أن الرفـــاعي - الكاتب الوهابي الذي يرد أحاديث التوسل المتواترة مهما أمكنه - قد اعترف بصحة هذا الحديث وقال:

" إن هذا الحديث صحيح [١]، فإن صح هذا الجواز شرعا فنحن من أسبق الناس إلى الأخذ بـــه والعمـــل بمقتضاه".

---

(١) كان الصحيح أن يقول: إن هذا التاريخ صحيح، لأن الحـــديث- فى الاصطلاح هو كلام النبى ﷺ، وكلامنا الآن عن الأحـــداث التاريخية، وقد سبق ذكر الأحاديث الشريفة.

D:\كتب\الوهابية\٢٥doc.

فمع الانتباه إلي ما ذكروه عن سيدنا عمـــر بـــن الخطاب ﷺ بشأن التوسل بسيدنا العباس ﷺ، وأنـــه أقسم بالله بأن (هذا - والله- الوسيلة إلى الله والمكان منه) يتضح بأن حقيقة التوسل- في هذا المجال- هي التوسل بذات العباس ونفسه، أو بشخصيته ووجاهتـــه عند الله تعالى، لا بدعاء العباس.

هذا.. وقد روى محمد بـــن النعمـــان المـــالكي- المتوفى سنة ٦٨٣ هـــ في كتابه :"مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام".

كيفية توسل عمر بالعباس وأنه قال:

(اللهم إنا نستقيك بعم نبيك، ونستشفع إليك بشيبته. فسقوا) وفي ذلك يقول العباس بن عتبة بن أبي لهب:

بعمى سقى الله الحجاز وأهله

عشية يستسقي بشيبته عمر

وكذلك أنشد حسان بن ثابت ﷺ قوله الذى ذكـــره ابن الأثير فى أُسد الغابة:

سأل الإمام وقـــد تتابع جدبنا

فسقـــي الغمـــام بغُرَّة العباس

عم النبـــى وصنو والده الذى

ورث النبىَّ بـــذاك دون الناس

أحيى الإله به البلاد فأصبحت

مخضرة الأجناب بعـــد الياس

وقال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري شـــرح صحيح البخارى ج٢ ص٤١٣:

(إن العباس دعا إلى الله تعالى بقوله: وقد توجـــه القوم بي إليك لمكاني من نبيك).

أيها القارى الكريم: لقد ظهر لك – بكل وضوح – أن التوسل إنما كان بشخصية العباس وجاهه، وقد قال علماء البلاغة والأدب: (تعليق الحكم على الوصـــف مشعر بالعِلِّية).

بناء على هذا.. فإن قول عمر : " إنا نتوسل إليك بعم نبيك" فيه بيان علة التوسل بالعباس دون غيره من

D:\كتب\الوهابية\٢٥.doc

الناس، وأنها لكونه عم رســـول الله ﷺ، وقـــد ذكـــر العباس نفسه ذلك فقال: " لمكاني من نبيك".

يقول القسطلانى فى المواهب اللدنية: (إن عمر – لما استسقى بالعباس– قال: (أيها الناس إن رسول الله ﷺ كان يرى العباس ما يرى الولد للوالد، فاقتدوا به فى عمه، واتخذوه وسيلة إلـــى الله تعـــالى).. ففيـــه التصريح بالتوسل، وبهذا يبطل قول من منع التوسل مطلقاً بالأحياء والأموات، وقول من منع ذلك بغيـــر النبى ﷺ وآله).

والخلاصة: بعد كل ما سبق... يمكـــن القـــول – بالقطع واليقين–: إن المسلمين في صدر الإسلام كانوا يتوسلون بالأشخاص الصالحين الأزكياء.

٤– شعر السيدة صفية رضى الله عنها في رثـــاء النبي : ذكر المحب الطبري فـــي ذخـــائر العقبـــى، والهيثمي في مجمع الزوائد:

أنشدت صفية بنت عبد المطلب– عمـــة النبـــي – قصيدة بعد انتقال النبي في رثائه ﷺ ومنها:

ألا يا رســـول الله أنت رجاؤنا

وكنـــت بنا براً ولـــم تك جافيا

وكنـــــت بنا برا رؤوفا نبـــينا

ليبك عليك اليوم من كان باكيا

إننا نستنتج من هذه المقطوعة الـــشعرية- التـــي أنشدت على مسمع من الصحابة وسجلها المؤرخـــون وأصحاب السير- أمرين:

الأول: إن مخاطبـــــة الأرواح- وبالخــــصوص مخاطبة رسول الله بعد انتقاله- كـــان أمـــراً جـــائزاً وجارياً، وقولها: "ألا يا رسول الله" لم يكن لغـــوا ولا شركاً كما تدعي الوهابية.

الثاني: إن قولها : "أنت رجاؤنا" يـــدل علـــى أن النبى ﷺ هو أمل المجتمع الإسلامى في كل العصور والأحوال ، ولم تنقطع الروابط والعلاقات معـــه ﷺ حتى بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى.

وفي الختام:

في ختام هذا الفصل نقول -عودا على بدء -: إن القرآن الكريم يصرح بجواز التوسل بأولياء الله تعالي، بل يدعو إلى ذلك بقوله:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (المائدة: ٣٤).

إن هذه الآية تدعو إلى اتخاذ "الوسيلة" فـــي كـــل المجالات بصورة عامة.

والسؤال : ما هي "الوسيلة"؟

الجـــواب : لم تذكرها الآية الكريمة، ولا شك أن أداء الفرائض الدينية هو من وسائل الفلاح والنجـــاة، ولكن لا شك أيضا أن "الوسيلة" غير منحصرة فـــي ذلك بل- وبالاعتماد علي ســـيرة المـــسلمين طـــوال التاريخ- إن مـــن "الوســـيلة" التوســـل بأوليـــاء الله الصالحين، وأنه من وسائل الفوز والفـــلاح وقـــضاء الحوائج وتحقيق الآمال، ويتجلى هذا - بوضـــوح-

فيما ذكرنا من كلام إمام المالكية مع المنصور العباسي، وتوسل عمر بن الخطاب بالعباس رضى الله عنهما للاستسقاء وغير ذلك.

﴿ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾ .

الفصل الخامس

مشروعية الحلف بحق الأنبياء والأولياء

إن من نقاط الخلاف بين الوهابيين والمسلمين هى أنها تدعى حرمة:

١- الحلف على الله بحق الأولياء.

٢- الحلف بغير الله.

وتعتبر- أحيانا- هذين القسمين شركاً بالله فى العبادة.

وفى هذا الفصل نضع هذا الموضوع على طاولة البحث والتشريح لاستخراج الحكم الشرعى الصحيح:

أولاً: الحلف على الله بحق الأولياء:

إن القرآن الكريم يصف بعض عباد الله بقوله: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ

وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾ (آل عمران: ١٧). فلــو أن إنسانا قام فى جوف الليل وصلى لربه ركعــات، ثــم تضرع إلى الله قائلاً: (اللهــم إنــى أســألك بحــق المستغفرين بالأسحار اغفر لى ذنبى).

فيكف يمكن أن نعتبر قوله هذا شرك فى العبادة؟!

إن الشرك فى العبادة معناه عبــادة غيــر الله، أو اعتبار غيره سبحانه إلهاً ومصدراً للأفعال الإلهية.

أمَّا فى هذا المجال فإن المصلى يتوجــه إلــى الله تعالى ولا يطلب شيئاً إلا منه سبحانه، فإذا كان هــذا العمل حراماً فلابد أن يكون له ســبب آخــر غيــر الشرك.

نحن هنا نجلب انتباه الوهابيين إلــى أن القــرآن الكريم قد ذكر مقياساً ومحكاً للفصل والتمييــز بــين المشرك– فى العبادة– وبين الموحد، وبهذا المقيــاس سد القرآن أمام كل تفسير بالرأى لمعنــى المــشرك، وهذا المقياس هو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْــدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِــالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِــرَ

الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (الزمر: ٤٥).

وفى آية أخرى يصف القرآن المجــرمين– هــم المشركون– بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِــشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ (الصافات: ٣٥، ٣٦).

إذن: المشرك– وفقا لهاتين الآيتين– هو ذاك الذى يشمئز قلبه إذا ذكر الله الواحــد الأحــد، ويفــرح إذا ذكرت الآلهة الباطلة، أو يــستكبر عــن الاعتــراف بوحدانية الله سبحانه.

بعد هذا المقياس القرآنى نتساءل: هل الذى يقــوم فى ظلام الليل ويقضى ساعات فى العبادة والمناجــاة والدعاء، ويــصلى بــين يــدى الله بكــل إخــلاص وخضوع، ويقسم على الله بمنزلة أوليائه الــصالحين، ويسأله بعباده المتقين.. هل هذا الإنسان يكون مشركا بعمله هذا؟!.

وكيف تمرَّد على ذكر الله واستكبر عن الاعتراف بوحدانيته سبحانه؟!.

لماذا ترى المؤلفين الوهابيين يستندون إلى أسس خيالية، وأدلة أوهن من بيت العنكبوت، ويتهمون المسلمين بالشرك، ويعتبرون أنفسهم فقط (شعب الله المختار)؟!!.

وكيف يجوز أن يعتبروا تسعة وتسعين بالمائة من أهل القبلة مشركين، ويعتبروا النجديين هم الموحدين فقط، مع ما سبق من المقياس القرآنى؟!.

وهل خوّل القرآن تفسير الشرك إلى الوهابيين حتى يفسروه كيفما يشاؤون، ويعتبروا جماعة مشركين وأخرى موحدين؟!!.

بل ﴿طبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون﴾.

إننا نلاحظ القسم على الله فى أدعية أوليائه المقربين، فمثلا:

هذا إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام تراه يقول فى دعائه بعد صلاة الليل كما ورد فى الصحيفة العلوية:

(اللهم إنى أسألك بحرمة من عاذ بك منك، ولجأ

D:\كتب\الوهابية\٢٥doc.

إلى عزك، واستظل بفيئك، واعتصم بحبلك، ولم يثق إلا بك..).

ويقول عليه السلام فى دعاء علّمه لأحد أصحابه:

(.. وبحق السائلين عليك، والراغبين إليك، والمتعوذين بك، والمتضرعين إليك، وبحق كل عبد متعبد لك فى كل بر أو بحر أو سهل أو جبل أدعوك دعاء من اشتدت فاقته..).

فهل لهذه المناجاة المنشطة للروح والباعثة على العبادة، وهذا التذلل أمام الله.. هل لذلك نتيجة أخرى سوى ترسيخ وحدانية الله وأنه لا معاذ إلا به، وإظهار المحبة والمودة لأولياء الله وأحبائه- الذى هو توجه إلى الله فى الوقت ذاته-؟!!.

من هذا المنطق.. يجب الكف عن توجيه تهمة الكفر والشرك- الرائجة فى سوق الوهابية أكثر من أى شئ- وينبغى دراسة الموضوع من زاوية المنطق والبرهان.

لذلك ترى بعض الوهابيين- المعتدلين نوعاً ما-

عالجوا (مسألة القسم على الله بحق الأولياء) فى إطار الحرمة أو الكراهة، بعكس الصنعانى الذى بحث عن هذه المسألة فى نطاق الشرك.

والآن.. وبعد ما تبين محور الحديث، يجب دراسة الموضوع فى إطار الحرام والمكروه، وبيان الدليل الواضح حول صحة هذا الموضوع وجوازه فنقول:

ما هى حقيقة هذا القسم فى الإسلام وواقعيته؟

والجواب: لقد ورد (القسم على الله بحق الأولياء) فى أحاديث شريفة متواترة، مروية عن رسول الله ﷺ، وبعضها عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، وبناء على هذه الأحاديث لا يمكن القول بحرمته ولا بكراهته.

وإليك نماذج من ذلك:

١- لقد سبقت الإشارة فى الفصل السابق إلى أن النبى ﷺ علم ذلك الأعمى الذى جاء يطلب منه أن يرد الله عليه بصره، أن يقول- كما أخرج ابن ماجه والحاكم والإمام أحمد-: (اللهم إنى أسألك وأتوجه

إليك بنبيك محمد نبى الرحمة).

٢- أخرج ابن ماجه والإمام أحمد روى أبو سعيد الخدرى عن النبى -ﷺ وآله- هذا الدعاء:

(اللهم إنى أسألك بحق السائلين عليك، وأسألك بحق ممشاى هذا..).

٣- وقد تاب النبى آدم عليه السلام إلى الله بقوله: (أسألك بحق محمد إلا غفرت لى) وقد ذكر ذلك السيوطى فى الدر المنثور، والحاكم فى المستدرك، والألوسى فى روح المعانى.

٤- وبعدما دفن النبى ﷺ السيدة فاطمة بنت أسد والدة الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام دعا لها بقوله الذى أورده ابن الصباغ المالكى فى الفصول المهمة ص٣١: (إغفر لأمى فاطمة بنت أسد، ووسع عليها مدخلها، بحق نبيك والأنبياء من قبلى).

إن هذه الأدعية- وإن خلت من لفظ القسم بعينه- إلا أن مضمونها هو ذلك، لوجود باء القسم فيها جميعا، فعندما يقول: (اللهم إنى أسألك بحق السائلين

عليك) أى: أقسم عليك بحقهم.

٥- يقول سيد الشهداء الإمام الحسين بن الإمام على عليهما السلام فى دعاء له: (اللهم إنى أسألك بكلماتك، ومعاقد عزك، وسكان سماواتك، وأرضك، وأنبيائك ورسلك، أن تستجيب لى فقد رهقنى من أمرى عسر، فأسألك أن تصلى على محمد وآل محمد، وأن تجعل من أمرى يسراً).

٦- وإذا ألقيت نظرة على الصحيفة السجادية - الدعاء السابع والأربعين- المروية عن الإمام على زين العابدين عليه السلام لرأيت القسم فيه كثيراً جداً، فهو خير دليل على صحة هذا النوع من التوسل.. وإليك نموذجا منه:

يقول عليه السلام فى دعائه يوم عرفة، وهو يناجى ربه الكريم:

(بحق من انتخبت من خلقك، وبمن اصطفيته لنفسك، بحق من اخترت من بريتك، ومن اجتبيت لشأنك، بحق من وصلت طاعته بطاعتك، ومن

D:\كتب\الوهابية\doc٢٥.

ينطت، أى: وصلت وربطت، معاداته بمعاداتك).

٧- وعندما زار الإمام الصادق عليه السلام مرقد جده الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام دعا فى ختام الزيارة بقوله: (اللهم استجب دعائى، وأقبل ثنائى، واجمع بينى وبين أوليائى، بحق محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين).

أيها القارئ الكريم: لقد ورد هذا النوع من الأدعية- المتضمنة للقسم على الله بحق أوليائه- كثيراً جداً عن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، ولا يسع المجال لذكر أكثر مما سبق.. وكل هذه الأدعية تدل على جواز القسم على الله بحق أوليائه الصالحين.

ثانيا: الحلف بغير الله تعالى:

إن الحلف والقسم بغير الله هو من المسائل الحساسة عن الوهابيين، والتى يُهِّرجون ضدها فى أبواقهم المرتزقة وأقلامهم المنحرفة.

فهذا الصنعانى- من مؤلفى الوهابية- يعتبر الحلف بغير الله شركا!! وذلك فى كتابه (تطهير الاعتقاد) ص١٤.

كما يعتبره عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب مؤلف (الهدية السنية) شركا صغيرا.

ونحن نقوم- بحول الله وقوته- بدراسة المسألة- دراسة موضوعية بعيدة عن التعصب- متخذين من كتاب الله وسنة رسوله والأئمة من أهل البيت عليهم السلام مصباحا منيرا يضئ لنا الدرب فى هذا المجال- وكل مجال-.

والسؤال: ما هى الأدلة على جواز الحلف بغير الله؟..

والجواب هو:

الدليل الأول:

إن القرآن الكريم هو الثقل الأكبر والقائد الأعلى والمثل الحى لكل مسلم، وترى فيه الحلف بغير الله

فى عشرات المواضع منه، بحيث يؤدى ذكرها بالتفصيل إلى إطالة الموضوع.

فمثلا: أقسم الله تعالى فى سورة الشمس وحدها بثمانية أشياء من مخلوقاته وهى: الشمس، ضحى الشمس، القمر، النهار، الليل، السماء، الأرض، النفس الإنسانية.

كما أقسم سبحانه فى سورة النازعات بثلاثة أشياء، وأقسم بشيئين فى سورة المرسلات، وكذلك ورد الحلف بغير الله فى سورة الطارق والقلم والعصر والبلد.

وإليك نماذج من آيات الحلف بغيره سبحانه، من سور أخرى:

- ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ﴾ (التين: ١-٣).
- ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ (الليل: ٢).
- ﴿ وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ *

وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ (الفجر: ١-٤).

- ﴿ وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ * وَالْبَيْتِ المَعْمُورِ * وَالسَّقْفِ المَرْفُوعِ * وَالْبَحْرِ المَسْجُورِ﴾ (الطور: ١-٦).

- ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (الحجر: ٧٢).

فكيف يجوز الحكم بأن الحلف بغير الله شرك وحرام، مع هذه الآيات القرآنية الزاخرة بذلك؟!.

فإن قال قائل: إن هذا القسم خاص بالله سبحانه.

فالجواب: كلا.. إن القرآن كتاب هداية للبشر، والناس يتخذونه قدوة وأسوة، فلو كان هذا النوع من الحلف حراماً على عباد الله، لكان المفروض أن يحذر منه القرآن، ويذكر بأن هذا القسم هو من خصائص الله تعالى، وعدم ذكر ذلك دليل على عدم اختصاصه به سبحانه.

وقد قال بعض من لا ذوق له- ممن يجهل أسرار القرآن- بأنه يمكن أن يكون ما يصدر من الله جميلا،

D:\كتب\الوهابية\٢٥doc.

وصدور نفس ذلك الشئ من غيره قبيحاً.

والجواب على هذا واضح، لأن الحلف بغير الله لو كان شركاً وتشبيهاً لغير الله بالله، فلماذا صدر هذا الشرك- الصغير أو المطلق- من الله تعالى؟!.

أيصح أن يجعل الله لنفسه شريكاً، ويمنع غيره من ارتكاب مثل هذا الشرك؟!.

الدليل الثاني:

لقد حلف النبى ﷺ بغير الله فى موارد عديدة منها:

١- روى مسلم فى صحيحه كتاب الزكاة: [جاء رجل إلى النبى فقال: يا رسول الله أى الصدقة أعظم أجرا؟ فقال: (أما - وأبيك- لتنبئنه أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل البقاء)].

٢- روى مسلم أيضا فى باب ما هو الإسلام: [جاء رجل إلى رسول الله- من نجد- يسأله عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: (خمس صلوات فى اليوم والليل).

فقال: هل علىَّ غيرهن؟

قال: (لا.. إلا أن تطوَّع، وصيام شهر رمضان).

فقال: هل علىَّ غيره؟

قال: (لا.. إلا أن تطوَّع)، وذكر لـه رسـول الله الزكاة.

فقال الرجل: هل علىَّ غيره؟

قال: (لا.. إلا أن تطوَّع).

فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه.

فقال رسول الله: (أفلح- وأبيه- إن صدق).

-أو قال-: (دخل الجنة- وأبيه- إن صدق)، أى: قسماً بأبيه، فالواو واو القسم].

٣- وجاء هذا الحديث فى مسند أحمد بن حنبـل، وفى نهايته أن النبى قال له: (... فلعمرى لإن تكلم[١] بمعروف، وتنهى عن منكر، خير من أن تسكت).

(١) أى: تتكلم.

D:\كتب\الوهابية\doc٢٥.

وهناك أحاديث أخرى لا يسع هذا الفصل ذكرها، فراجعها فى مسند الإمام أحمد ج٥ ص٢١٢، وسـنن ابن ماجة ج٤ ص٩٩٥، وج١ ص٢٥٥.

وقد أقسم الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام- الذى يعتبر النموذج البارز للتربية الإسلامية والقيم العالية- أقسم بنفسه الشريفة أكثر من مرة فى خطبه ورسائله وكلماته، كما جاء فـى كتـاب نهـج البلاغة، وكذلك أقسم سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه بأبى الشخص الذى كان يتكلم معه كما ذكر سيدنا الإمـام مالك فى الموطأ المطبوع مع شـرح الزرقـانى ج٤ ص١٥٩.

والوهابية يزعمون أنهم ينتمون للمذهب الحنبلـى، لكن المفاجأة أن أئمة المذهب الحنبلـى لا يوافقـونهم على ما يدعون.. فها هو ابن قدامة يذكر- فى كتابـه المغنى الذى كتبه إحياء لفقه الحنابلة- أن الإمام أحمد ابن حنبل أفتى بجواز الحلف بالنبى صلى الله عليه وسلم وأنه ينعقـد لأنه أحد ركنى الشهادة، وقال- أحمد-: (لـو حلـف

بالنبى انعقد يمينه، فإن حنث لزمته الكفارة).

أيها القارئ الكريم: بعد الاطلاع على أدلة جواز الحلف بغير الله فى الكتاب والسنة، ننتقل إلى ذكر حديثين تمسك بهما الوهابيون فى حرمة الحلف بغير الله، وأراقوا من أجل ذلك دماء الأبرياء، واستهدفوا ملايين المسلمين بسهام التكفير السامة:

الحديث الأول:

(إن رسول الله سمع عمر وهو يقول: وأبى، فقال: إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، ومن كان حالفا فليحلف بالله أو يسكت) (سنن ابن ماجة، وسنن الترمذى، وغيرهما).

الجواب:

أولاً: لعل النهى عن الحلف بالآباء قد جاء لأنهم- فى الغالب- كانوا مشركين وعبدة للأصنام، ولهذا فلا حرمة ولا كرامة لهم حتى يحلف أحد بهم.

وقد جاء فى الحديث عن النبى ﷺ: (لا تحلفوا

بآبائكم ولا بالطواغيت) وقد رواه النسائى، والطواغيت: هى الأصنام.

وروى أيضا: (لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالأنداد).

ثانياً: إن المقصود من النهى عن الحلف بالأب هو ذلك الحلف الذى يُفصل به فى القضاء والخصومات وحسم الخلافات، لأن علماء الإسلام اتفقوا على أن اليمين التى تحسم الخلاف والنزاع هو الحلف بالله سبحانه وبصفاته، أما سوى ذلك فلا.

مع وجود هذه القرائن الواضحة.. كيف يمكن أن يقال بأن النبى ﷺ نهى عن الحلف بالمقدسات- كالكعبة والقرآن وأولياء الله تعالى- مع العلم أن النهى خاص بمورد معين، وأن النبى بنفسه كان يحلف بغير الله؟!!.

الحديث الثانى:

جاء ابن عمر رجلٌ فقال: أحلف بالكعبة؟ قال له:

لا، ولكن إحلف برب الكعبة، فإن عمر كان يحلف بأبيه فقال رسول الله: (لا تحلف بأبيك فإن من حلف بغير الله فقد أشرك) (السنن الكبرى للبيهقى، وقريب منه فى مسند الإمام أحمد).

الجواب الأول:

إن هذا الحديث يتألف من ثلاثة أمور:

١- إن رجلا جاء إلى ابن عمر رضى الله عنهما فقال: أحلف بالكعبة. فأجابه بقوله: لا، ولكن إحلف برب الكعبة.

٢- إن سيدنا عمر بن الخطاب ﵁ كان يحلف بأبيه، فنهاه النبى ﷺ عن ذلك.

٣- إن رسول الله ﷺ علل ذلك بقوله: (من حلف بغير الله فقد أشرك).

والقدر المتيقن منه كما هو مورد كلام الرسول ما إذا كان المحلوف به شيئا غير مقدس كالكافر والصنم. ولكن ابن عمر اجتهد بأن قول النبى: (من حلف بغير الله فقد أشرك) الذى ورد فى الحلف

بالمشرك- وهو الخطَّاب الذى هو والد سيدنا عمر ﵁- اجتهد بأنه يشمل الحلف بالمقدسات أيضا كالكعبة، مع العلم بأن كلام النبى ﷺ قد ورد فى الحلف بالمشرك كما أوضحناه عند البحث عن الحديث السابق، وعلى ذلك فقد كان كلام الرسول فى الضابطة التى أعطاها خاصاً بما إذا كان المحلوف به أمرا غير مقدس، ولكن ابن عمر اجتهد وجعله أعم منه ومن غيره.

وقد أوضحنا سابقا بأن النبى ﷺ كان يحلف بغير الله سبحانه كثيراً، فيجب أن نحمل قوله: (من حلف بغير الله فقد أشرك) على الحلف بالمشرك وأمثاله لا على الحلف بالمقدسات كالقرآن والكعبة والنبى، بدليل أن النبى إنما أعطى هذه الضابطة عند حلف عمر بأبيه المشرك.

فتطبيق هذا الحديث على الأعم من المشرك وغيره اجتهاد من ابن عمر، واجتهاده حجة لنفسه فقط لا لغيره.

وتسأل: لمـــاذا اعتبـــر رســـول الله ﷺ الحلـــف بالمشرك شركا؟

والجواب: لأن الحلف بـــه نـــوع مـــن التـــشييد بشخصيته والتعظيم له والتـــصديق لدينـــه الباطـــل وعقيدته المنحرفة، أو لأنه يحلف معتقـــداً أن الغيـــر إلهاً.

وأما الحلف بالكعبة والقرآن والأنبياء والأوليـــاء- فى غير القضاء والخصومات- فهو خارج عن تلـــك القاعدة العامة، وليس شركاً ولا حراماً.

الجواب الثانى:

وهنا جواب آخر أوضح من الجواب الأول وهو: إن قول النبى ﷺ: (من حلفٍ بغير الله فقـــد أشـــرك) يشير إلى حلفٍ خاصٍ وهو الحلف بالأصنام- كاللات والعزى- فقط ولا يعم الإنسان المشرك فضلا عـــن المقدسات.

ويؤيد هذا الجواب ما رواه النسائى فى ســـننه أن النبى ﷺ قال: (من حلف فقال فـــى حلفـــه: بـــاللات

D:\كتب\الوهابية\٢٥doc.

والعزى فليقل: لا إله إلا الله).

وما رواه- فى نفس المصدر- أن النبى ﷺ قـــال: (لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالأنداد).

إن الحديث الأول يدل على أن رواسب الجاهليـــة كانت باقية فى بعـــض النفـــوس، فكـــانوا يحلفـــون بأصنامهم المعبودة من دون الله، فأمرهم النبـــى ﷺ بقوله: (لا إله إلا الله) من أجل القضاء علـــى تلـــك الرواسب الجاهلية.

ويستفاد مما رواه الإمام أحمد إمام الحنابلة أن قوله ﷺ: (من حلف بغير الله فقد أشـــرك) كـــان حـــديثا مستقلا، فجاء ابن عمر رضى الله عنهمـــا وأدخـــل اجتهاده الشخـــصى- فـــى عمـــوم الحلـــف بـــالأب وبالمقدسات- فى سياق الحديث، لم يكن الحلف بالآباء ولا المقدسات داخلاً فيه، وإن أدخلهما فيه ابن عمر.

الحديث الذى رواه إمام الحنابلة هو هذا:

[عن ابن عمر قال: كان يحلف أبى، فنهاه النبـــى، قال: (من حلف بشئ دون الله فقد أشرك)].

فإنك ترى حديث النبى ﷺ مستقلا عن مقالة ابن عمر، ولم يأت بـ (واو) العاطفة أو (فاء) التفريع، بل قال: (فنهاه النبى، قال...) مما يدل على أن الحديث صدر فى وقت آخر، بصورة مستقلة.

أيها القارئ الكريم: لقد تلخَّص من كل ما سبق:

١- إن الحلف بغير الله لا مانع منه شرعا، وقد صدر ذلك من الله تعالى فى القرآن الكريم ومن رسول الله ﷺ وخليفته الرابع أمير المؤمنين على عليه السلام والمسلمين.

٢- إن الحلف بغير الله لا يصح- ولا نقول: لا يجوز- فى القضاء والخصومات، بل لابد من الحلف بالله جل جلاله أو بإحدى صفاته، وقد ثبت بالدليل الخاص ولا علاقة له بهذا الموضوع.

٣- إن الحديثين اللذين استدل بهما الوهابيون- على حرمة الحلف بغير الله- لا علاقة لهما بما نحن فيه من الحلف بالمقدسات الإسلامية- كالقرآن والكعبة

والأنبياء والأئمة والأولياء- بل هى خاصة بالحلف بالأمور غير المقدسة كالآباء المشركين والأصنام المعبودة فى الجاهلية.

وهكذا يتعرى الوهابيون من الأقنعة (الإسلامية!!) المزيفة التى يلبسون بها آراءهم الشاذة وأفكارهم الباطلة.. والحمد لله رب العالمين.

الفصل السادس

النذر للصالحين

والصلاة بمساجدهم

من المسائل التى يثيرها الوهابيون كثيراً- فى كتبهم وغيرها- مسألة إقامة الصلاة والنذر والدعاء عند روضات أولياء الله الصالحين وإضاءة المصابيح عندها. وللجواب على هذه المسألة نقول:

أولاً: الصلاة فى مساجد الصالحين:

يقول مؤسس الوهابية فى رسالة (زيارة القبور):

(لم يذكر أحد من أئمة السلف أن الصلاة عند القبور وفى مشاهدها مستحبة، ولا أن الصلاة والدعاء هناك أفضل، بل اتفقوا كلهم على أن الصلاة فى المساجد والبيوت أفضل منها عند قبور الأولياء والصالحين).

D:\كتب\الوهابية\doc٢٥.

وجاء فى الجواب المنسوب إلى علماء المدينة:

(أما التوجه إلى حجرة النبى ﷺ عند الدعاء فالأولى منعه، كما هو معروف من معتبرات كتب المذاهب، ولأن أفضل الجهات جهة القبلة).

وقد تجاوزت هذه المسألة- على مر الزمان- مرحلة المنع إلى مرحلة الشرك، حتى أنهم اليوم يعتبرون ذلك شركاً، وكل من يفعل ذلك مشركا.

طبعا مما لا شك فيه أن الصلاة لصاحب الروضة وعبادته، أو جعله قبلة فى الصلاة يعتبر شركا، ولكن ليس على وجه الأرض مسلم يفعل ذلك عند روضات الأنبياء والأولياء، فليس هناك من يعبد صاحب الروضة أو يتوجه إليه فى الصلاة، لهذا فإن فكرة الشرك هذه ليست سوى وهماً وخيالاً يتخبط فيه الوهابيون.

إن هدف المسلمين من إقامة الصلاة والدعاء عند روضات الأولياء هو التبرك بذلك المكان الذى

احتضن حبيباً من أحباء الله، فهم يعتقدون أن ذلك المكان يتمتع بمنزلة سامية لكونه يضم جسد عزيز من أعزاء الله، ولذلك فالصلاة والدعاء هناك يعود بثواب أكثر على فاعله[1].

والسؤال الذى تجب الإجابة عليه هو: هل دفن الأولياء فى مكان ما، يمنح قدسية خاصة لذلك المكان أم لا؟.

فإن ثبت ذلك- بدليل من القرآن الكريم أو الأحاديث- كانت إقامة الصلاة والدعاء عند روضات قادة الإسلام مستحبة ومقرونة بثواب أكثر، وحتى لو لم يثبت ذلك فلا يمكن القول بحرمة الصلاة والدعاء فى ذلك المكان، بل يكون كسائر الأماكن الأخرى

(١) والدليل على ذلك هو منع رسول الله ﷺ أصحابه من النزول والشرب فى ديار ثمود- محل النقمة والبلاء-، وأمره لهم بالنزول والشرب عند بئر الناقة- محل الفضل والعطاء-.

التى يجوز فيها إقامة الصلاة والدعاء حتى لو لم تتمتع بأية فضيلة.

فحديثنا الآن يدور حول هذا الموضوع بالذات، هل أن لمشاهد الأولياء ومدفنهم شرفاً وفضيلة خاصة؟.

وهل هناك ما يدل عليه فى القرآن أو الأحاديث؟.

الجواب فيما يلى:

أولاً: فى قصة أصحاب الكهف، سبق أن ذكرنا فى الجزء الأول بأن المؤمنين الموحدين قالوا- فى شأن مدفنهم-:

﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً﴾ (الكهف: ٢١).

إن الهدف الذى دعاهم إلى اتخاذ مدفنهم مسجداً إنما كان من أجل أداء الفرائض الدينية فيه، يقول الزمخشرى والنيسابورى فى تفسير الآية: يصلى فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم.

إن أولئك هكذا كانوا يتفكرون: إن هذا المكان صار ذا كرامة وشرف بسبب احتضانه لأجساد

مجموعة من عباد الله الصالحين، ولذا لابد من التبرك به باتخاذه مسجداً للصلاة والعبادة لله سبحانه، لنيل الثواب الأكثر.

إن القرآن الكريم يذكر هذا الموضوع عن أولئك الموحدين من دون أى رد أو نقد، بل بسكوت تام، ولو كان عملهم هذا خلافا للشريعة، أو نوعا من اللهو والباطل أو الشرك، لما سكت القرآن عنهم، بل ردَّ عليهم، كما هو شأنه فى المعتقدات الباطلة.

ثانياً: إن القرآن الكريم يأمر حجاج بيت الله الحرام بأن يقيموا الصلاة عند مقام إبراهيم الخليل- عليه السلام- وهى الصخرة التى وقف عليها سيدنا إبراهيم لبناء الكعبة- فيقول سبحانه:

﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ (البقرة: ١٢٥).

إن كل من يتلو هذه الآية يفهم منها- بوضوح- أن الصلاة هناك إنما وجبت بسبب مقام النبى إبراهيم،

D:\كتب\الوهابية\٢٥doc.

وأن مقام سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام هو الذى منح الفضيلة والكرامة لذلك المكان، وترى ملايين المسلمين يتخذون من مقام إبراهيم مكاناً للصلاة والدعاء.

فإذا كان الأمر كذلك بالنسبة إلى مقام إبراهيم- عليه السلام- ألا ينبغى أن يكون كذلك بالنسبة إلى مثوى رجال الله وقادة الإسلام؟!.

ألا تكون الصلاة عند روضاتهم أفضل من الأماكن الأخرى؟!.

صحيح أن الآية قد نزلت بشأن مقام إبراهيم الخليل، ولكن: ألا يمكن أن نستنتج منها حكما عاما؟!.

ذكر السمهودى فى وفاء الوفا جـ٤ ص ١٣٧٦: لقد سأل المنصور العباسى مالك بن أنس -إمام المالكية- وهما فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله فقال: يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله؟.

فقال مالك: لم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله يوم القيامة؟! بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله.

يستفاد عن هذا الحوار أن الدعاء عند روضة رسول الله- ﷺ وآله- كان خالياً من أى إشكال، وأن سؤال المنصور من إمام المالكية إنما كان عن الدعاء إلى جهة القبلة أم إلى جهة روضة الرسول ﷺ وآله، ويفتى مالك بن أنس ؓ بأن التوجه إلى روضة الرسول إنما هو كالتوجه إلى القبلة.

ثالثاً: لو راجعنا أحاديث المعراج لانكشفت لنا هذه الحقيقة بصورة أكثر حيث ذكر البزار والطبرانى والبيهقى والقسطلانى فى المواهب والإمام أحمد فى مسنده وصاحب السيرة الحلبية والنبهانى فى جواهر البحار أن المصطفى ﷺ نزل فى خمسة أماكن هى:

١- **يثرب:** لما بلغوا أرضاً بيضاء ذات نخل، قال جبريل ﷺ: انزل فصلِّ هنا، ففعل. فقال جبريل:

D:\كتب\الوهابية\doc٢٥.

صليت بطيبة وإليها المهاجر.

٢- **مدين:** لما بلغ مدين قال جبريل: انزل فصلِّ. ففعل ﷺ. فقال جبريل: صليت بمدين حيث عاش شعيب عليه السلام.

٣- **طور سيناء:** لما بلغ طور سيناء قال جبريل: انزل فصل. ففعل ﷺ. فقال جبريل عليه السلام: صليت بطور سيناء حيث ناجى الله موسى عليه السلام.

٤- **بيت لحم:** لما بدت أرض لها قصور، قال جبريل: انزل فصل. ففعل ﷺ. فقال: صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى عليه السلام.

٥- **قبر موسى** عليه السلام: لما مر ﷺ على روضة موسى، وهو يصلى فى روضته عند الكثيب الأحمر، قال جبريل عليه السلام: انزل فصل. ففعل.

هذا النزول المبارك يفصل فى قضية زيارة روضات الصالحين، والدعاء فى الأماكن التى ارتبطت بهم..

فلماذا هذه الأماكن بالذات؟.

الجواب: إن الأرض تبارك بمن يلامسها من الصالحين، والدليل على ذلك أنه لولا هجرة المصطفى ﷺ للمدينة ووجود روضته الشريفة بها، لتساوت مع غيرها من الأماكن، وما كانت قبلة تهفو إليها قلوب وأفئدة المحبين والعاشقين، فالمكان الذى سيعيش فيه صالح (يثرب)، والمكان الذى عاش فيه صالح (مدين)، والمكان الذى حدثت فيه كرامة لصالح (طور سيناء)، والمكان الذى ولد فيه صالح (بيت لحم)، والمكان الذى دفن فيه صالح (قبر موسى)، يستحب الدعاء فيه، والدعاء فيه مقبول.. ومن السنة أن الإنسان إذا زار روضة نبى أو ولى أن يصلى فيه، أى: يدعو الله تعالى، معتقداً أن تلك الأماكن يستجاب فيها الدعاء، كما ورد فى صحيح السنة فى أحاديث الإسراء.

قال الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

D:\كتب\الوهابية\doc٢٥.

إذا كان جبريل الأمين بحجة
دعا المصطفى فى قوله البرهان
ألا انزل على قبر الكليم وصل يا
ضيا الأنبيا والأمر فيه بيان
وفى بيت لحم فانزلن صل داعيا
وهل بعد هذا حجة برهان

رابعاً: لقد بلغت السيدة هاجر أم سيدنا إسماعيل بن الخليل مرتبة عالية عند الله تعالى بسبب صبرها وتحملها المتاعب فى سبيله سبحانه، مما أدى إلى أن جعل الله موضع أقدامها محلا للعبادة، وأوجب على حجاج بيته الحرام أن يسعوا كما سعت هاجر بين جبلى الصفا والمروة، وهذا ما يعترف به ابن القيم تلميذ ابن تيمية فى كتاب جلاء الأفهام ص ٢٢٨.

ونتساءل: إذا كان صبر هاجر على المكاره وتحملها المتاعب فى سبيل الله تعالى قد منح الكرامة لموضع أقدامها، وأوجب الله على المسلمين أن يعبدوه

سبحانه فى ذلك المكان بالسعى بين الصفا والمروة، فلماذا لا تكون روضة النبى -ﷺ وآله- مكاناً مباركاً ومقدساً، فى حين أنه تحمل أنواع المصاعب والمصائب والمكاره من أجل إصلاح المجتمع وإرشاده؟.

خامساً: إذا كانت الصلاة عند القبر محرمة فى الشريعة الإسلامية، فلماذا قضت السيدة عائشة رضى الله عنها عمرها وحياتها بالصلاة فى البيت الخاص بها عند روضة رسول الله ﷺ وآله.

إن معنى قول رسول الله ﷺ وآله على فرض صحة الحديث: (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) هو أنهم كانوا يعبدون أنبياءهم ويسجدون على قبورهم، أو يجعلون قبورهم قبلة لهم، وكلا الأمرين مخالفان للشريعة المقدسة.

ولكن الوهابيين يستدلون بهذا الحديث على حرمة الصلاة عند روضات أولياء الله سبحانه، ولو كان هذا

D:\كتب\الوهابية\doc٢٥.

الاستدلال صحيحاً فلماذا قضت السيدة عائشة- راوية هذا الحديث- ما يقرب من خمسين عاما من عمرها بالصلاة والعبادة فى البيت الذى دفن فيه الرسول وصاحبيه؟!!.

سادساً: لو لم تكن لروضة رسول الله ﷺ وآله القدسية والشرف فلماذا أصر أبو بكر ومن بعده عمر رضى الله عنهما على أن يدفنا بجوار روضته الشريفة؟!.

ولماذا أوصى الإمام الحسن بن على رضى الله عنهما بأن يدفن عند روضة جده المصطفى ﷺ، فإن حال الأعداء دون ذلك فليدفن فى البقيع؟!.

وأية علاقة بين هذا الحديث وسيرة المسلمين القائمة على الصلاة لله باتجاه القبلة بجوار روضة رسول الله ﷺ وآله، لدرك المزيد من الثواب والفضيلة؟!!.

سابعاً: إن السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها

وأرضاها التى روى عن النبى فى أحاديث صحيحة أخرجها البخارى أن رضاها هو رضى الله ورسوله، وأن غضبها هو غضب الله ورسوله- كانت تزور روضة عمها حمزة فى كل جمعة- أو فى الأسبوع مرتين- وكانت تبكى وتصلى عند روضته. يقول البيهقى فى سننه والحاكم فى المستدرك:

(كانت فاطمة رضى الله عنها تزور قبر عمها حمزة كل جمعة فتصلى وتبكى عنده).

أيها القارئ الكريم: إن هذه الأدلة- بمجموعها وبالإضافة إلى سيرة المسلمين الجارية على الصلاة والدعاء فى الأماكن التى دفن فيها أولياء الله وأحباؤه- تؤكد أن الصلاة والدعاء عند هذه الروضات قد تمتاز بفضيلة أكثر وثواب أكبر، وأن الهدف إنما هو التبرك بذلك المكان المبارك وأداء الفريضة فيها لرجاء القبول من الله سبحانه.

ولو فرضنا عدم وجود دليل- من القرآن

والأحاديث- على شرافة هذه الأماكن وفضيلة الصلاة والدعاء فيها، فلماذا تكون الصلاة محرمة فيها؟!.

ولماذا لا تدخل هذه الأماكن ضمن إطار القانون الإسلامى العام الذى يعتبر الأرض كلها محلاً لعبادة الله، حيث يقول رسول الله ﷺ وآله فيما أخرجه البخارى والإمام أحمد فى مسنده: (جعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً).

ثانيا: الإضاءة عند روضات الصالحين:

إن مسألة الإضاءة عند روضات أولياء الله- والتى يدعى الوهابيون حرمتها- ليست ذات أهمية كبرى، لأن الدليل الوحيد الذى يستدلون به هو حديث ضعيف ذكره النسائى عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ وآله لعن زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج.

وهذا الحديث- وأمثاله- يختص بما إذا كانت

الإضاءة تضييعاً وتبذيراً للمال أو تشبهاً ببعض الأمم والشعوب والأديان الباطلة، كما أشار إليه العلامة السندى- فى شرحه على هذا الحديث- حيث قال: (والنهى عنه لأنه تضييع مال بلا نفع) (السنن للنسائى: ج٣ ص٧٧ طبعة مصر، وج٤ ص٩٥ طبعة بيروت، شرح الجامع الصغير: ج٢ ص١٩٨).

وأما إذا كان الهدف من الإضاءة والإنارة هو تلاوة القرآن والدعاء والتضرع إلى الله وإقامة الصلاة وغيرها من المستحبات والواجبات والمنافع المشروعة، فهذا مما لا إشكال فيه قطعاً، بل إن الإضاءة فى هذه الأماكن ولهذه الأهداف مصداق لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ﴾ (المائدة: ٢).

فكيف تكون حراما؟!.

بل لاشك أن الإضاءة مستحبة شرعاً، ومحبوبة

عقلاً.

ثالثا: النذر للصالحين:

قبل كل شئ نذكر تعريفا عن النذر فنقول:

النذر معناه أن يلزم الإنسان نفسه بأداء شئ معين إذا تحقق هدفه وقضيت حاجته، فيقول: لله على أن.. (ويذكر نذره) إذا كان.. (ويذكر حاجته).

مثلا يقول: لله على أن أختم القرآن إذا نجحت فى الامتحانات الدراسية.

هذا هو النذر الشرعى، ويجب أن يكون لله فقط، فإذا قال الناذر: نذرت لفلان، ففى قوله مجاز، والمعنى: نذرت لله على أن يكون ثوابه لفلان.

وثواب النذر يقع على ثلاثة أقسام:

١- أن يكون الثواب لنفس الإنسان الناذر.

٢- أن يكون لشخص حى.

٣- أن يكون لشخص ميت.

فقد يخصص الإنسان الناذر ثواب نذره لنفسه، أو لشخص حى- واحد كان أو أكثر- أو لشخص ميت- واحد كان أو أكثر-.

وهذه الأقسام الثلاثة كلها جائزة، ويجب على الناذر الوفاء بنذره إذا قضيت حاجته.

وقد مدح الله تعالى الإمام عليا والسيدة وفاطمة وسيدنا الحسن وسيدنا الحسين سلام الله عليهم بقوله: ﴿يوفون بالنذر﴾ (الإنسان: ٧).

أيها القارئ الكريم: إن النذر سنة معروفة بين كافة المسلمين فى العالم كله، وخاصة فى البلاد التى تحتضن روضات أولياء الله وعباده الصالحين.

وقد تعارف بين المسلمين النذر لله وإهداء ثوابه لأحد أولياء الله وعباده الصالحين.

حتى جاء ابن تيمية فزعم حرمة ذلك، وشن الهجوم على المسلمين حيث يتعارف هذا النذر بينهم أكثر من غيرهم، نظرا لكثرة روضات أولياء الله فى

D:\كتب\الوهابية\٢٥doc.

بلادهم المحروسة، فاتهمهم بالشرك والانحراف وقال:

(من نذر شيئا للنبى أو غيره من النبيين والأولياء من أهل القبور، أو ذبح ذبيحة، كان كالمشركين الذين يذبحون لأوثانهم وينذرون لها، فهو عابد لغير الله فيكون بذلك كافرا).

ثم جاء محمد بن عبد الوهاب- بعد خمسة قرون تقريبا- فجعل يحيى بدعه ومفترياته.

لقد جهلا- أو تجاهلا- أن المقياس العام هو القصد والنية القلبية فـ (الأعمال بالنيات).

إذا كان مجرد العمل الظاهرى دليلاً على النية، فإن كثيراً من مناسك الحج وفرائضه تشبه- فى ظاهرها- أعمال عبدة الأصنام، فقد كانوا يطوفون حول أصنامهم ويقبلونها، ونحن نطوف حول الكعبة المشرفة ونقبل الحجر الأسعد، ونذبح الذبائح ونقرب القرابين فى منى يوم عيد الأضحى، فهل كفرنا وأشركنا بالله بأداء هذه المناسك؟!!.

إن المقياس هو النية القلبية، ولا يصح التسرع فى الحكم وإصدار الفتوى لمجرد عمل ظاهرى.

إن كل من ينذر لأحد أولياء الله، إنما يقصد- فــى قلبه- النذر لله وإهداء الثواب لذلك الــولى الــصالح، ليس إلا.

ومن حسن الحظ أن العلمــاء والمفكــرين- مــن الشيعة والسنة- قد تــصدوا لأباطيــل ابــن تيميــة ونظرائه.

فهذا الخالدى فى كتابه صلح الإخوان يرد على ابن تيمية ويقول:

(إن المسألة تدور مدار نيــات النــاذرين، وإنمــا الأعمال بالنيات، فإن كان قصد الناذر الميت نفــسه والتقرب إليه بذلك لم يجُز، قولا واحــداً، وإن كــان قصده وجه الله تعالى وانتفاع الأحياء- بوجــه مــن الوجوه- به وثوابه لذلك المنذور له- ســواء عــين وجهاً من وجوه الانتفاع، أو أطلق القول فيه وكــان

هناك ما يطّرد الصرف فيه فى عــرف النــاس، أو أقرباء الميت، أو نحو ذلك - ففى هذه الصورة يجب الوفاء بالنذور).

ثم ذكر ما صرح به علماء عصره، ومن قــارب عصره حول هذه المسألة.

وقال العزامى- فى كتاب فرقان القرآن-:

(ومن استخبر حال من يفعل ذلك من المــسلمين، وجدهم لا يقصدون بذبائحهم ونذورهم للأموات- من الأنبياء والأولياء- إلا الصدقة عنهم وجعــل ثوابهــا إليهم، وقد علموا أن إجماع أهل السنة منعقد على أن صدقة الأحياء نافعــة للأمــوات، واصــلة إلــيهم، والأحاديث فى ذلك صحيحة مشهورة.

فمنها: ما صح عن سعد بن عبادة أنه سأل النبــى ﷺ وآله (قال: يا نبى الله إن أمى افتلتت، أى: ماتت، وأعلم أنها لو عاشت لتصدقت، فإن تــصدقت عنهــا أينفعها ذلك؟.

قال ﷺ وآله: نعم.

فسأل النبى: أى الصدقة أنفع يا رسول الله؟

قال: الماء.

فحفر بئرا وقال: هذه لأم سعد.

لقد أخطأ محمد بن عبد الوهاب فادعى أن المسلم إذا قال: هذه الصدقة للنبى أو للولى، فاللام بنفسها هى اللام الموجودة فى قولنا: (نذرت لله)، يراد منها الغاية، فالعمل لله، بينما لو قال: للنبى، يريد بها الجهة التى يصرف فيها الصدقة من مصالح النبى ﷺ وآله فى حياته وبعد انتقاله.

وفى هذا الصدد يقول العزامى- بعد ذكر قصة سعد-:

"اللام" فى (هذه لأم سعد) هى اللام الداخلة على الجهة التى وجهت إليه الصدقة، لا على المعبود المتقرب إليه، وهى كذلك فى كلام المسلمين، فهم سعديون لا وثنيون!.

وهى كاللام فى قوله تعالى: ﴿إنما الصدقات للفقراء﴾ لا كاللام فى قوله سبحانه: ﴿رب إنى نذرت لك ما فى بطنى محررا﴾ أو فى قول القائل: صليت لله ونذرت لله، فإذا ذبح للنبى أو الولى أو نذر الشئ له فهو لا يقصد إلا أن يتصدق بذلك عنه، ويجعل ثوابه إليه، فيكون من هدايا الأحياء للأموات المشروعة المثاب على إهدائها، والمسألة مبسوطة فى كتب الفقه، وفى كتب الرد على الرجل ومن شايعه.

وهكذا ظهر لك- أيها القارئ- جواز النذر للأنبياء والأولياء، ومن دون أن يكون فيه شائبة شرك، فيثاب به الناذر إن كان لله وذبح المنذور باسم الله، فقول القائل: (ذبحت للنبى) لا يريد أنه ذبحه للنبى- ﷺ وآله- بل يريد أن الثواب له، كقول القائل: ذبحت للضيف، أو ذبحت للمريض، بمعنى أن النفع والفائدة له، فهو السبب فى حصول الذبح.

ويوضح ذلك ما روى فى سنن أبى داود عن ثابت

ابن الضحاك قال:

(نذر رجل على عهد رسول الله ﷺ أن ينحر إبلاً بـ (بوانة) فأتى رسول الله ﷺ وآله فأخبره فقال النبى: (هل كان فيها وثن يعبد من أوثان الجاهلية).

قالوا: لا. قال: (فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟) قالوا:لا.

قال ﷺ وآله للسائل: (أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر فى معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم).

وروى أبو داود أيضا: أن امرأة أتت النبى ﷺ وآله فقالت: يا رسول الله إنى نذرت أن أذبح بمكان كذا وكذا، مكان كان يذبح فيه أهل الجاهلية.

فقال النبى: الصنم؟. قالت: لا. قال: الوثن؟ قالت: لا. قال: فِى بنذرك.

وعن ميمونة بنت كردم أن أباها قال لرسول الله ﷺ وآله:

(يا رسول الله إنى نذرت إن ولد لى ذكر أن أنحر

على رأس (بوانة)- فى عقبة من الثنايا- عدة من الغنم.

قال الراوى عنه: لا أعلم، إلا أنها قالت: خمسين. فقال رسول الله ﷺ وآله: هل من الأوثان شئ؟.

قال: لا. قال: فأوف بما نذرت به لله).

أرأيت أيها القارئ كيف يكرر النبى ﷺ وآله السؤال عن وجود الأصنام فى المكان الذى تذبح فيه الذبائح؟!.

إن هذا دليل على أن النذر الحرام هو النذر للأصنام، حيث كان ذلك عادة أهل الجاهلية. كما قال تعالى: ﴿وما ذبح على النصب ذلكم فسق﴾ (المائدة: ٣).

وكل من اطلع على أحوال الزائرين للعتبات المقدسة وروضات أولياء الله الصالحين يعلم جيدا أنهم ينذرون لله تعالى ولرضاه، ويذبحون الذبائح باسمه عز وجل، وانتفاع الفقراء بلحومها.

وختاما لهذا الفصل .. نذكر كلمة للخالدى- بعد أن ذكر ما رواه أبو داود فى سننه- قال: (وأما استدلال الخوارج بهذا الحديث على عدم جواز النذر فى أماكن الأنبياء والصالحين، زاعمين أن الأنبياء والصالحين أوثان - والعياذ بالله- وأعياد من أعياد الجاهلية، فهو من ضلالاتهم وخرافاتهم وتجاسرهم على أنبياء الله وأوليائه، حتى سموهم أوثاناً، وهنا غاية التحقير لهم، خصوصاً للأنبياء، فإن من انتقصهم- ولو بالكناية- يكفر ولا تقبل توبته- فى بعض الأقوال- وهؤلاء المخذولون بجهلهم يسمون التوسل بهم عبادة ويسمونهم أوثانا، فلا عبرة بجهالة هؤلاء وضلالاتهم) [صلح الإخوان، ص١٠٩].

وهذا يتعرى الوهابيون من الأقنعة الإسلامية المزيفة، التى يلبسون بها آراءهم الشاذة وأفكارهم الباطلة بخصوص الصلاة فى مساجد الصالحين والنذر لهم، وإيقاد السرج عند روضاتهم.. والحمد لله رب العالمين.

وإلى الجزء الثالث من كتاب (موحدون لا قبوريون) لنواصل الحديث عن:

١- مشروعية الموالد.

٢- طلب المدد من الصالحين.

٣- التبرك والاستشفاء بالصالحين.

٤- اعتقاد القدرة الغيبية للصالحين.